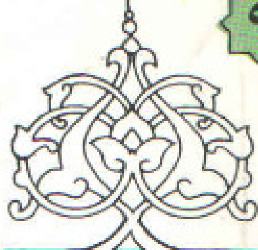
سلسلة
كتب إسلامية

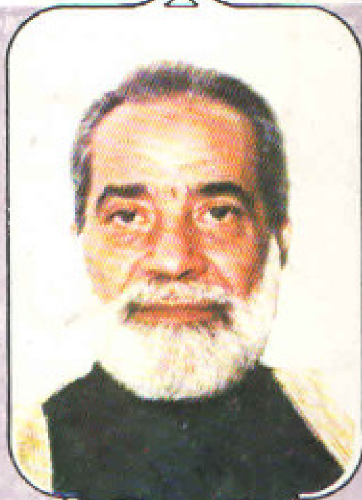
٩

الطريق إلى الله



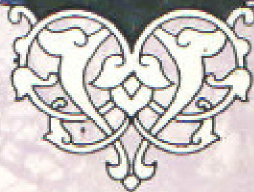
نساء مؤمنات

«القدوة من النساء»



الداعية الإسلامى

ياسين رشدى

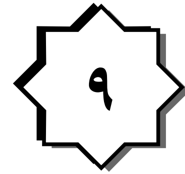




نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية



نِساءٌ مُؤْمِنَات

"القدوة من النساء"

الداعية الإسلامى

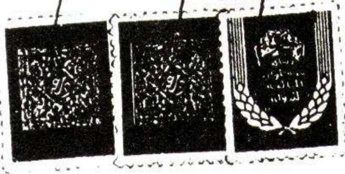
ياسين رشدى

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهـــــر
مجمــع البحــوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحــوث والتـــأليف والترجمــة



الســـلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : .القدوة من النساء (نساء مؤمنات).. تاليف : .ياسين رشدى

نفيد بأن الـــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـــانع من طبعـــه على نفقتـــكم الخـــاصة .

مع التـــأكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرآنية والاحاديث النبـــوية الشريفـــة .

واللـــــه المــــوفق ،،،

والســـلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ،،،

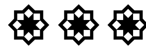
مدير عـــام
إدارة البحوث والتـــأليف والترجمـــة



تحريرا فى ١٥ / ٢ / ١٤١٢
الموافق ١٤ / ٩ / ١٩٩٢

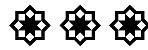
تقديم

الْحَمْدُ للهِ حَقًّا فَهُوَ الْوَدُودُ خَفِىُّ الأَلْطَاف ..
الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بِنِعَمٍ مُتَعَدِّدَة الأَلْوَانِ وَالأَصْنَاف ..
الْكَرِيمُ .. الْمُجِيبُ .. الْمُؤَمِّنُ لِكُلٍّ مَنِ ارْتَاعَ وَخَاف ..
اللَّطِيفُ فِى بَلاَئِهِ وَلَوْ كَانَ مِنَ الْعَبْدِ إِسْرَاف ..
الْقَرِيبُ الْمُحِبُّ لِمَنْ دَعَاهُ بِإِلْحَاحٍ وَإِلْحَاف ..
نَحْمَدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنَسْأَلُهُ النَّجَاةَ مِمَّا نَخْشَى وَنَخَاف ..
وَنَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنَ الْجَدَلِ وَالإِسْفَاف ..
وَنَرْجُوهُ الصَّلاَحَ وَالاسْتِقَامَةَ دُونَ مُوَارَبَةٍ أَوِ الْتِفَاف ..
وَأَنْ يُجَنِّبَنَا بِفَضْلِهِ الْفَسَادَ وَالإِتْلاَف ..



وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ حَقٍّ وَإِنْصَاف ..
شَهَادَةً شَهِدَتْ بِهَا شُخُوصُنَا وَظِلاَلُنَا وَالأَعْضَاءُ مِنَّا وَالأَطْرَاف ..
شَهَادَةً أَقَرَّتْ بِهَا الطُّيُورُ، وَالأَسْمَاكُ فِى الْبُحُورِ ، وَكَذَا اللآلِئُ وَالأَصْدَاف ..
هِىَ نَشِيدُ الْمَوْجُودَات ، وَمِنْ أَجْلِهَا قَامَتِ السَّمَاوَات ،
وَالإِقْرَارُ بِهَا كَافٍ وَشَاف ..
هِىَ نُورُ الْبَصَائِر ، وَبِحَقِيقَتِهَا قِوَامُ الأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِر ،

وَإِنْكَارُهَـــــا ظُلْـــــــمٌ عَظِـــــــيمٌ وَإِجْحَـــــــاف ..
هِىَ نَفْىٌ وَإِثْبَات ، تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّة الذَّات ، مَعَ تَعَدُّد الأَوْصَـــاف ..
دَلِيلُهَـــا عَـــبِيرُ الْـــوُرُود ، وَنَســـيمُهَا أَنْفَـــاسُ الْوُجُـــود ،
وَبِـــالـــدِّفَـــــاعِ عَـــنْـــهَـــا ارْتَقَى وَعَـــزَّ الأَسْــــــــلاَف ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُتَحَقِّقُ بِكَمَالِ الأَوْصَاف ..
عَفِيـــفُ اللِّسَـــان ، فَـــائِقُ الْحَنَـــان ، سَـــرِيعُ الانْعِطَـــاف ..
سَـــامِقُ الْقِمَـــم ، مُتَعَـــدِّدُ الْهِمَـــم ، مُوَطَّـــأُ الأَكْنَـــاف ..
عَظِيمٌ خُلُقُهُ ، وَحْىٌ نُطْقُهُ ، جُعِلَ رِزْقُهُ تَحْتَ ظِلِّ الرُّمْحِ وَالأَسْيَاف ..
وَطِـــىءُ الْفِـــرَاش ، بَسِـــيطُ اللِّبَـــاس ، عَيْشُـــهُ الْكَفَـــاف ..
مَرْكَبُهُ الْـــبَعِير ، سَـــرِيرُهُ الْحَصِـــير ، يَلْـــبَسُ النَّعْـــلَ وَالْخِفَـــاف ..
بِالْقَنَاعَة قَدْ أَمَر ، وَبِالزُّهْد قَد اشْتَهَر ، وَمَا امْتَلأَتْ بِطَعَامِه الصِّحَاف ..
مُحْسِـــنٌ إِذَا أَسَـــر ، عَفُـــوٌ إِذَا قَـــدَر ، لاَ يَـــنْقُضُ الأَحْـــلاَف ..
ابْتُلِىَ بِفَقْد الأَوْلاَدِ فَصَبَر ، وَرَحَّبَ بِالْمَوْتِ حِينَ حَضَر ، كَأَنَّهُ يَوْمُ الزِّفَاف ..
كَلاَمُهُ دُرٌّ مَنْظُوم ، وَلَمَسَاتُهُ تُسْعِدُ الْمَحْرُوم ، وَرِيقُهُ شَهْدٌ صَـــاف ..
حَوْضُهُ زُلاَلٌ وَرَوَاء ، وَكَأْسُهُ سَلْسَلٌ وَشِفَاء ، وَشَفَاعَتُهُ لِلْجَمْعِ إِسْعَاف ..
سَيِّدُ الْكُلِّ وَالْجَمِيع ، وَأَوَّلُ مُتَكَلِّمٍ وَشَفِيع ، لَيْسَ فِى ذَا شَكٌّ وَلاَ خِلاَف ..
أُمِرْنَا بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ ، وَالتَّأَدُّبِ فِـــى الْوُقُـــوفِ بَـــيْنَ يَدَيْـــه ،

وَغَـــــضِّ الصَّـــــــوْتِ بِـــــــلاَ اسْـــــــــتخْفَاف ..
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْــهِ وَعَلَــى آلِــهِ وَصَــحْبِهِ الأَشْــرَاف ..
فَـــــوْقَ مَـــــا خَطَّـــــهُ قَلَـــــمُ مَـــــادِحٍ أَوْ أَضَـــــاف ..
وَكُلَّمَـــــا سَـــــعَى عَبْـــــدٌ إِلَـــــى الْبَيْـــــتِ أَوْ طَـــــاف ..
وَمَـــادَام فِـــــى الْكَـــــوْنِ أَضْـــــــوَاءٌ وَأَطْـــيَـــــــاف ..

أمـــا بعـــد ،،

ففى عصر الظلم والظلام .. فى عصرٍ كانت تُوءَدُ فيه البنات ، وتُعَقُّ فيه الأمهات .. فى عصرٍ كانت النساء تُوَرَّثُ كما يُوَرَّثُ المتاع ، ولا حق لهن فى الميراث ، بل هن تركة تُقَسَّم كما يُقَسَّم المتاع .. لا حق لهن فى الحياة .. لا حق لهن فى إبداء الرأى ، أو الكلام فى أى شأن من الشئون .. وكان الرجل يتزوج من النساء ما يشاء دون حدود فى العَدَد ، كما يتملَّك ما يشاء من الإماء .. ويمسك من يشاء من زوجاته ، ويُطلِّق من يشاء دون ذنب أو جريرة ودون تعويض ، وإذا مات ورث ابنه الأكبر نساءه .. إن شاء تزوَّجهن ، وإن شاء أمسكهن دون زواج ، وإن شاء زوَّجهن وأكل مهورهن ..

زمان : كانت البهائم فيه أغلى من النساء وأعلى قيمة ، إلا فى حالة إكراههن على البغاء إن كن من الإماء حتى يأتين بالمال لأصحابهن ..

فى ذلك الزمان الذى أُهْدِرَتْ فيه آدَمِيَّة النساء ، وضُيِّعَت حقوقُهن ، وأُزْهِقَتْ أرواحُهن فى طفولتهن حتى لا يجلبن العار .. ظهرت دعوة الحق ، وأشرقت شمس

الإسلام لتضع الأمور فى نصابِهَا ، وتنـــزَّلت الآيات لتُقَرِّر ما عليهن من واجبات ، وما لهن من حقوق .. ولتبيِّن أن النساء شقائق الرجال ، وأن الجميع خُلِقُوا من نَفْس واحدة ... وأن للنساء مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة .. وسارع المحظوظون إلى الدخول فى هذا الدين الجديد الذى أعطى كل ذى حق حقَّه ، ونظم المجتمع ، وحدَّد العلاقة بين أفراده فى إطار العدل والتعاون على البر والتقوى .. وكان الاهتمام باللبنة الأُولَى فى المجتمع وهى الأسرة واضحًا جَلِيًّا فى ما نزل من آيات الزواج والطلاق ، وتقرير حق النساء فى الميراث ، وحرية الاختيار لشريك الحياة .. وكانت السابقات فى الإسلام من الصحابيات خير قُدْوة لنساء الأُمَّة فى أداء الواجبات التى فرضها الإسلام عليهن من : طاعة الأزواج ، ورعاية الأبناء ، وغضّ البصر ، والالتزام بالزِّى الشرعى ، وعدم التبرُّج أو الاختلاط المؤدى إلى الفِتَن والشرور .. فكُنَّ بذلك سَكَنًا للأزواج ، وخير عون لهم فى تَنْشِئَةِ أجيال سليمة عقائديًّا ، وسُلوكِيًّا ، فعز الإسلام ، وسادت الأمة غيرها من الأمم ، ثم بدأت الثقافات الغربية ، والأعراف السقيمة تدخل إلى بلاد الإسلام ، وكان أوَّل من تلقَّفها بالقبول والانبهار – للأسف الشديد – بعض النساء اللاَّتِى خُدِعْن بالشعارات المزيفة التى تنادى بحرية المرأة ومساواتِهَا للرجل فخرجن من بيوتِهن للعمل والاختلاط – غير السليم وغير المحكوم – بالرجال ، وبدأت المرأة تتزيَّن للخروج فى الوقت الذى أهملت فيه التزيُّن لزوجها ، وأهملت بيتها وأولادها ، فانفرط العقد ، وتفكَّكت الأسرة ، وفقد الرجال الغيرة ، ففقدت النساء العصمة ، وكثرت حالات الطلاق ، وقل الإقبال على الزواج ، وظهرت أجيال من الشباب

ضعاف الشخصية قد فقدوا رعاية الآباء ، وحنان الأمهات ، وكثرت الانحرافات ، وظهر التطرُّف بجميع أشكاله ، وتغلَّبت المادية على القيم الخلقية ، والنــزعة الفردية ، والأنانية ، والانعزالية على الشعور بالانتماء إلى المجتمع والأمة الإسلامية .. ولا خلاص للأمة من أمراض العصر إلا بالعودة إلى النبع الصافى الذى نَهَل منه السلف ، والانتماء إلى الجذور الأصلية ، ورفض كل وافد من تقاليد وأعراف لا تتفق مع قيم الإسلام الحنيف ..

وفى الصفحات التالية نُقَدِّم سيرة بعض النساء اللاتى هن كالكواكب المشرقة تــهدى بنورها فتيات عصرنا هذا اللاتى فقدن القُدْوَة الصالحة ، وغرَّتْهُنَّ الدعايات المغرضة ، والحضارة المزعومة .. لعلَّهُن يَجِدْن قَبَسًا من نور يهديهن إلى طريق الاستقامة والسعادة ..

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..

ياسين رشدى

السَّيِّدَةُ حَوَّاءُ (رضى الله عنها)

خلق الله تبارك وتعالى سيدنا « آدم » بكلمة (كُنْ) ، وكانت المادة التى خُلِقَ منها هى : التراب ، أو الطين ، أو الصلصال .. وكلها أشكال مختلفة ، التراب فيها هو الأصل ، فإن خلط بماء سُمِّى : طينًا ، وإن حمى بعد ذلك فى النار كان : صلصالاً .. ولم تُخْلَق السيدة « حواء » كما خُلِقَ سيدنا « آدم » ، وإنما خُلِقَت من ضِلع من أضلاعه ، ولو أَنَّهَا خُلِقَت كما خُلِقَ هو فى الوقت نفسه لأصبحا متساويَيْن – ولقد كان الله تعالى قادرًا على ذلك – ولكنها خُلِقَت من جزء منه ، وأنَّى للجزء أن يتساوى مع الكُلِّ ؟! .. إذًا فـــ « آدم » هو الأصل و« حواء » هى الفرع لقول الله عز وجل : (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)[1] ..

وعلى ذلك فإن أى خطاب لهما يكون المقصود به الأصل لا الفرع ، كما أن كل فعل مشترك تكون مسئوليته بالدرجة الأولى على الأصل لا على الفرع ، وعليه فإن الخطيئة الأولى التى وقعت منهما بالأكل من الشجرة المحرَّمة – وإن كانا قد اشتركا فيها – فإن مسئولية « آدم » أكبر من مسئولية « حواء » بدليل قول الله عز وجل : (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)[2] .. ولم يقل : فتلقَّيا ،

(1) سورة الأعراف آية ١٨٩ .

(2) سورة البقرة آية ٣٧ .

أو : فتلقَّى « آدم » و« حواء » .. ولقد حاول اليهود إلقاء التَّبِعَة على السيدة « حواء » باتِّهامها بأنــها هى التى أغْرَته بالأكل بعد أن أغواها « إبليس » ، واتخذها مَطِيَّة لإغواء « آدم » ، وحفلت بعض الكتب بالإسرائيليات التى تنسج القصص عن هذا الإغواء وكيف دخل الشيطان إلى الجنة فى صورة حيَّة .. وما إلى ذلك مما جعل الأمر يستقر فى أذهان بعض الناس ، واجترأ بعض الكُتَّاب والرَّسامين على أم البشر فاتَّهموها بأنــها السبب ، وحفلت المجلات بالرسومات الفكاهية ، وكذلك القصص المختلقة عن التفاحة التى قدمتها « حواء » لــ « آدم » مما يقلل من شأن المرأة ويوحى بالحذر والتوجس وتوقع الشر منها .. المرأة التى أوصى بــها الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم باعتبارها أمًّا مشيرًا إلى ما تتحمله من مشقة لا يتحملها الرجل بأى حال بقوله : (حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهًا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهًا)[1] .. (حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٍ)[2] ..

وقد جاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟** .. قَالَ : (**أُمُّكَ**) .. قَالَ : **ثُمَّ مَنْ ؟** .. قَالَ : (**ثُمَّ أُمُّكَ**) .. قَالَ : **ثُمَّ مَنْ ؟** .. قَالَ : (**ثُمَّ أُمُّكَ**) .. قَالَ : **ثُمَّ مَنْ ؟** .. قَالَ : (**ثُمَّ أَبُوكَ**)[3] ..

ويكون بِرُّ الأم فى حياتِها : بالمودَّة ، والمراعاة ، والحنان ، والنفقة إذا كانت محتاجة .. كما يكون بعد موتِها : بالدعاء ، والاستغفار لها ، وقراءة القرآن ، وتذكُّر فضلها ، وصلة الرحم التى من جهتها ، وإنفاذ وصيَّتها ، وبر أهل مودَّتِها

---

[1] سورة الأحقاف آية ١٥ . [2] سورة لقمان آية ١٤ . [3] رواه البخارى كتاب الأدب .

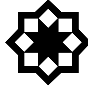
وصداقتها .. وينطبق هذا على كل أم ، وإن عَلَتْ .. أى على الأم ، وأم الأم وهكذا ..

والسيدة « حواء » أُمُّ البشرية جميعًا ، ويكون بِرُّها بأن يبقى اسمها فى منـــزلة عالية رفيعة تتلاءم مع هذه الأم العظمى ، ويتأتَّى ذلك بأمور عدة منها : توجيه وتوعية هؤلاء الذين يتطاولون عليها مُعلنين عقوقهم عبر الرسومات الكاريكاتورية ، والفكاهات .. كما يكون بتبرئتها مما نسبه إليها اليهود من اتِّهام هى منه بَرَاء ، وهو إخراج سيدنا « آدم » من الجنة بزعم أن الشيطان وسوس إليها بذلك فأغرت « آدم » بالأكل من الشجرة ، والله تبارك وتعالى يقول : (وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)[1] ..

فالخطاب هنا وإن كان يشمل « آدم » وزوجه ، إلا أن الخطاب فيه موجَّهٌ إلى الْمُخَاطَب الأصلى وهو الزوج ، فالرجال قوَّامون على النساء ، ومن ثَمَّ فهى مخاطبة بالتبعِيَّة .. الأمر الذى يؤكِّده بعد ذلك قول الله عز وجل : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ)[2] .. أى إن « إبليس » حين تكلم ووسوس ،

(1) سورة البقرة آية ٣٥ .
(2) سورة طه الآيات من ١١٦ : ١٢٠ .

وسوس لـــ « آدم » ، ويؤكد ذلك قول الله عز وجل : (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ)[1] .. وكذا قوله : (وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا)[2] .. وهكذا نجد القرآن بين أيدينا يخلو من أى دليل على أن السيدة « حواء » هى التى أغوت سيدنا « آدم » ، أو حتى شجَّعته على الأكل من الشجرة المحرَّمة .. وعليه فإنا نعتذر إلى أُمِّنا العظيمة – أم البشر جميعًا – من تطاول بعض الجهلاء عليها ، ونستغفر الله تعالى لنا ولهم ..



---

(1) سورة البقرة آية ٣٧ .

(2) سورة طه آية ١١٥ .

السَّيِّدَةُ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ (رضى الله عنها)

كانت زوجة لِرجُلٍ لم يكتف بِمُلْكٍ لا يُدانيه مُلْكٌ ، فزعم أنه إلـــه !.. واسْتَخَفَّ قومه فأطاعوه ، وعبدوه من دون الله !!..

كانت تعيش فى ظل مَجْد هذا الرجل وسُؤدده ، يحيط بِهَا الْخَدَم ، والْحَشَم ، والجوارى ، والْحُرَّاس ، وكانت القصور التى تقيم فيها مع زوجها قصورًا يفوق وصفُها الخيال ..

نعيم ، وجاه ، ومال ، وجمال ، وكنوز تتضاءل إلى جوارها كنوز كِسْرى ، وأباطرة الرومان .. ومع ما كانت فيه من البهرجة ، والزخرف ، وزينة الدنيا ، وما تُعَامَل به من الخاصة والعامة على أنَّها زوجة الرَّبِّ الأعلى إلا أنَّها غَضَّت الطرف عن كل ذلك ، واتَّجَهَت بكُلِّيَّتها إلى الإلـــه الحق رب السماوات والأرض هاتفة من أعماقها : (رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)[1] ..

فلم تكن (رضى الله عنها) راضية عن أفعال زوجها من عُلُوٍّ ، وتكبُّرٍ ، وفساد فى الأرض ، وتعذيب لبنى إسرائيل ، وتقتيل لأولادهم .. إلا أنَّها كانت تحسن معاشرته ، وتخفى إيمانَها بالله عنه ، ولقد كان من فضل الله عليها أن اصطفاها

[1] سورة التحريم آية ١١ .

لتكون أُمًّا لـــ « موسى » (عليه السلام) ، فما إن وقعت عيناها عليه حتى قالت لزوجها الذى همَّ بقَتْله : (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا)[1] ..

واستجاب « فِرْعون » لطلبها على رغم عِلْمه بنبوءة الكُهَّان من أن مُلْكه سوف ينهار على يد غلام من بنى إسرائيل ، مما يدُلُّ على عُلُوِّ منـــزلتها عنده ، وتمكُّنِ حُبِّها من قَلْبِه ، بل الأغرب من ذلك أن يأمر « فرعون » بالتماس المراضع لهذا الوليد ، وتستبدل الواحدة منهن بالأخرى لرفض الوليد أن يرضع منها .. وهكذا حتى جاءت أمه (رضى الله عنها) فتمسَّك بثديها و لم يرض عنه بديلاً تحقيقًا لوعد الله عز وجل لها بقوله : (إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ)[2] ..

وعاش « موسى » متمتعًا بحنان أمه – التى اعتقد الجميع أنَّها مجرد مرضعة رضى عنها الصبى – ورعاية السيدة « آسية » (رضى الله عنها) التى آمنت بالله من قبل أن يُبْعث « موسى » ، ثم آمنت بـــ « موسى » بعد بعثته (عليه السلام) .. ولقد ضرب الله بِهَا المثل للمؤمنين والمؤمنات فى كل مكان وزمان فقال : (وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)[3] ..

بل ولقد اصطفاها الله تبارك وتعالى لتكون زوجة لسيد الأوَّلين والآخرين وخاتم الأنبياء والْمُرْسَلِين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فى الجنة كما جاء فى الحديث الذى

(1) سورة القصص آية ٩ . (2) سورة القصص آية ٧ . (3) سورة التحريم آية ١١ .

رواه البخارى .. وهى واحدة من أربع نساء فى الوجود كله من لدن « آدم » حتى تقوم الساعة هن سيدات نساء العالمين : « **آسيَةُ بِنْتُ مُزاحِم** » ، « **مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان** » ، « **خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلد** » ، « **فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّد** » ..

ويقول النبى (ﷺ) : (**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ .. وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ [1] عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**)[2] ..

ومما يَلْفِتُ النظر أن تمسُّك السيدة « آسية » بالإبقاء على حياة سيدنا « مُوسى » كان دافعه الحب العارم ، والتعلق الشديد الذى أحسَّته فى قلبها نحوه تحقيقًا لقول الله عز وجل فى شأن « موسى » : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى)[3] .. مما جعل كل مَنْ تقع عينه على « موسى » يشعر بالحب نحوه ، حتى « فرعون » الذى لم ينكر على زوجته قولها له : (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ)[4] ..

فالقلوب بِيَد الله يُقَلِّبُها كيف شاء ، ومن أحبَّه الله وضع له القبول فى الأرض ، ومن أبغضه الله وضع له البغضاء فى الأرض ..

هذا .. وقد مضى على هذه القصة آلاف السنين تنعم فيها السيدة « آسية » بالرَّوح والريحان ، ويُعَذَّب « فرعون » فيها صباح مساء ، مع أن مدة بقائهما فى الدنيا كانت سنوات معدودة .. فالدُّنْيا عمرها قصير ، وزادها قليل ، وخطرها حقير ، وما عند الله خير وأبقى ..

---

(١) الثريد : طعام من اللحم والخبز المفتت .
(٢) رواه البخارى كتاب المناقب .
(٣) سورة طه آية ٣٩ .
(٤) سورة القصص آية ٩ .

السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانٍ (رضى الله عنها)

كانت امرأة « عِمْرَان » امرأة صالحة تَقِيَّة ، تعيش فى بيئة صالحة يسوسها الأنبياء من بنى إسرائيل كـــ « زكريا » (عليه السلام) ، وقد حملت بعد طول انتظار ، فأرادت أن تُعَبِّر عن شكرها لله فنذرت ما فى بطنها للمِحْرَاب ، وهى تتوقَّع وترجو أن يكون المولود ذَكَرًا ليكون مؤهَّلا لخدمة العُبَّاد والزُّهَّاد فى المعبد ، مُتفرِّغًا لدراسة علوم الدين .. ولصدق نِيَّتِهَا ، وخلوصها لله تقبَّل الله منها هذا النذر ، وبارك فيه فكان أن ولدت أنثى وسَمَّتها « مَرْيَم » .. وكان وقع المفاجأة عليها شديدًا ، فليس الذَّكَر كالأُنْثى إذ لا تصلح الأُنثى لخدمة المعبد ، أو مخالطة الرجال .. ومع ذلك صمَّمت على الوفاء بنذرها فذهبت بالوليدة إلى المعبد ، ووضعتها بين أيدى الأحْبَار ليروا فيها رأيهم .. ولصدق بصيرة مَنْ رأوها ، وصفاء سرائرهم ، وعلمهم بصلاح امرأة « عمران » وتقواها توقَّعوا لهذه الوليدة شأنًا عظيمًا ، فتنافسوا على كفالتها ، ورعايتها ، ولم يجدوا مخرجًا للنـــزاع إلا الاستهام والاحتكام إلى القُرْعَة ، فأتى كل واحد منهم بسهْم ، وكتب عليه اسمه ، واتفقوا على إلقاء السهام فى ماء جارٍ ، فمَنْ وقف سهمه ولم يجر مع الماء فهو صاحب الحق فى الكفالة باختيار الله له .. ووقف سهم « زكريا » (عليه السلام) وفاز فى القرعة التى أُجْرِيَتْ ، وكان أحق الناس بكفالة « مريم » ، إذ هو : زوج خالتها ، بالإضافة إلى كونه نبيًّا يُوحى إليه مما أكد علو منـــزلة هذه الوليدة ورعاية الله لها

إذ جعل كفالتها لزوج خالتها وأتقى الناس فى عصره ..

وهُيِّئت غرفة خاصة للوليدة فى المعبد تشبُّ وتترعرع فى أطهر الأماكن وأقدَسِها ، ولا يدخل عليها محرابــها إلا زوج خالتها وكافلها : « زكريا » (عليه السلام) .. وعلى رغم الآمال التى كان يعقدها « زكريا » على هذه الفتاة المنذورة لله إلا أن ما حدث فاق كل التوقعات : إذ كلما دخل عليها غرفتها الخاصة وجد عندها طعامًا ليس من جنس ما يأكلون أو يعهدون ، مما جعله يسألها سؤالاً مباشرًا : **من أَيْنَ لَكِ هَذا** ؟!! فأجابته ببساطة ووثوق : **هُوَ مِنْ عِنْد اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَرْزُق مَنْ يَشَاءُ بِغَيْر حِسَاب** .. وأدهشت الإجابة « زكريا » (عليه السلام) ، وذكَّرته بِمَا استقرَّ فى عقيدته ووجدانه ، وأيقظت الأمل فى نفسه بأن يكون له ولد من صلبه يرث منه النُّبُوَّةَ التى ورثها من آبائه على رغم عقم امرأته وكبر سِنِّه ، فإن الله يرزق مَنْ يشاء بغير حساب ، وهو خالق الأسباب والمسبَّبات ، وانتهز فرصة وجوده فى هذا المحراب المبارك وتوجَّه إلى الله ضارعًا بِهَذا الطلب .. فلم يكد يُتِمّ سؤاله حتى بشَّرته الملائكة باستجابة الله لدعائه ، فخرج على الناس يأمرهم بإقامة الصلوات شكرًا لله على مَنِّه وكرمه ..

وتتنَزَّل الملائكة على « مريم العذراء » تأمرها بمداومة التَّهجُّد ، والصلاة ، والتفرغ للعبادة ، فقد كفاها الله مَئُونة الرزق ، والبحث عنه ، أو الجهد فى تحصيله .. وتأتى المفاجأة الكبرى ببُشْرى الملائكة بحملها للمسيح « عيسى ابن مريم » وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين ، ويكلِّم الناس فى المهد وكهلاً ، ومن الصالحين .. وتتعجَّب « مريم » من هذا الأمر وكيف يكون ؟! وهى العذراء البتول التى لم

يقربـــها رجل ، بل و لم يرها رجل إلا كافلها وزوج خالتها « زكريا » (عليه السلام) وتأتيها الإجابة واضحة وضوح الشمس : **إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء** .. نعم فقد خلق الله « آدم » من غير أب وأم ، وخلق « حواء » من أب وهو « آدم » ، فقد خُلِقَت من ضلع من أضلاعه ومن غير أم ، وها هو يخلق « عيسى » من أم ومن غير أب فتكتمل دائرة الإعجاز ، ويعلم الناس ، **أن الله : يخلق بالأسباب ، ويخلق من دون حاجة إلى أسباب ، فهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات** ..

وتستسلم « مريم » لأمر الله ، وتبتعد عن الأنظار حاملة هذا النور الجديد الذى مَنّ الله به على بنى إسرائيل لِيُحِلّ لهم الطيبات ويُحَرِّم عليهم الخبائث ، ويرفع عنهم بعض العقوبات التى فرضها الله عليهم لعصيانـــهم فى بعض الأمور وتعنُّتهم مع أنبيائهم السابقين ..

وتأتى ساعة الوضع ، وتضطرب السيدة العذراء ، وعلى رغم بُشرى الملائكة لها ، إلاَّ أن المشاعر البشرية تجعلها تتمنَّى الموت وتلجأ إلى مكان بعيد ، وتتشبَّث بجذع نَخْلة ، ويخرج الوليد المبارك إلى الدنيا آمرًا وموجِّهًا .. رحيمًا وحانيًا .. يتكلَّم بكلام الرجال ، وبمنطق الأنبياء والْمُرْسَلِين ، ويُطَمْئِن أمه ويأمرها بالصيام عن الكلام .. فقد انتهى دورها ، وأدَّت رسالتها التى اصطفاها الله لها .. وبدأ دوره هو الذى اصطفاه الله له ، ويشير القرآن إلى هذا الأمر إشارة بليغة فى غاية الإعجاز حيث تقصُّ الآيات من سورة « مريم »[1] القصَّةَ كاملة حتى إتيانها به قومها تحمله واتّهامهم لها بتهمةٍ شنيعة باطلة ، وتتوقَّف القصة عند قول الله عز

[1] سورة مريم الآيات من ١٦ : ٣٤ .

وجل : (فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِ)[1] وهنا ينطق « المسيح » (عليه السلام) مُبَرِّئًا أمَّهُ ، مُبَيِّنًا رسالتَه ، وتتوقَّف الآيات عن الكلام عن السيدة « مريم » تمامًا ، فقد أدت السيدة العذراء أعظم دور فى التاريخ .. وأى دور !! ويبدأ الكلام عن « المسيح » (عليه السلام) وقصته مع بنى إسرائيل وما لقيه منهم ..

ومما يَلْفِتُ النظَر فى قصة هذه السيدة العظيمة أن الرزق كان يأتيها دون جهد منها ، أو سؤال حين كانت متفرِّغة للعبادة ، ولما وضعت حملها أمرها وليدها أن تبذل الجهد فى هز الشجرة حتى يسْقُط عليها الرُّطَب جَنِيًّا فى الوقت الذى يتوقع الإنسان بعقْلِه القاصر أنَّها فى حاجة إلى الرعاية والخدمة بعد الوضع .. **فلماذا لم يأتــها الرزق من السماء كما كان يحدث من قبل ؟!!**.. إنه دور الأم الذى هو أعظم الأدوار فى هذه الحياة الدنيا على الإطلاق .. إنه الجهد المبذول فى رعاية الأبناء ، والحنو عليهم .. إنه تزويد الدنيا بالرجال الذين يحملون الأمانة فى عمارة الأرض ..

هذا .. ولقد ضرب الله بالسيدة « مريم » المثل للمؤمنين والمؤمنات فى كل مكان وزمان بقوله : (وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ)[2] ..

ويُبَشِّرُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نساء أمته بقوله : (**إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ**)[3] ..

---

(1) سورة مريم آية ٢٩ . (2) سورة التحريم آية ١٢ . (3) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد (رضى الله عنها)

كانت السيدة « خديجة » عربيَّة قُرَشِيَّة من أوسط نساء قُرَيْشٍ نَسَبًا ، وأعظمهن شرفًا ، وأكثرهن مالاً ، وكانت متزوجة من « هِنْدِ بن النَّبَّاش بن زرارة » وقد ولدت له ذكرَيْن : « هندًا » و« هالةَ » لذا كان يُكنى بـــ « أبى هالة » ، وبعد وفاته تزوجها « عتيق بن عائذ » أو « ابن عابد » كما ورد فى بعض الكُتُب ، وقيل أيضًا بعكس ذلك ، أى إنَّها قد تزوجت من « عتيق » أولاً ثم من « أبى هالة » ..

وبوفاة الزوج الثانى أصبحت السيدة « خديجة » أَيِّمًا ، وكانت تاجرة تستأجر الرجال فتضاربـــهم على شىء من مالها بأن تمنحهم أجرًا مقابل الاتِّجار فى مالها .. فأرسلت إلى « محمد بن عبد الله » الصادق الأمين الشريف القُرَشِيِّ تستأجره على مالها ، وسار فى تجارتِها إلى الشام ، وأرسلت معه غلامها « مَيْسَرَة » يخدمه ، ويكون لها عينًا عليه ، وعند عودته (ﷺ) أرسل « مَيْسَرَة » يسبقه إليها مُبَشِّرًا بعودة تجارتِها سالمة رابحة ، فلما سألته عنه أجاب بأنه لم يصادف فى معاملاته صادقًا كهذا الصادق ، أو أمينًا كهذا الأمين ، أو شريفًا كهذا الشريف ، وأنه قد نزل تحت شجرة إلى جوار راهب ، وأن هذا الراهب استدعى « مَيْسَرة » يسأله عنه قائلا : **ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نَبِىٌّ** [1] .. ثم أضاف « مَيْسَرة »

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .

ملحوظة له وهى أنّ مُحَمَّدًا كان يُظَلَّلُ بالغمام حيثما حل أو ارتحل .. وانتظرت السيدة « خديجة » مقدم « مُحَمَّد » ، واستقبلته .. وما إن تحاسَبَا حتى أرسلت تخطبه لنفسها قائلة : **إنِّى رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابتكَ مِنِّى ، وشَرَفِكَ فِى قَوْمِكَ ، وأَمَانَتِك عِنْدَهُم ، وحُسْنِ خُلُقِكَ ، وصِدْقِ حَدِيثِكَ** (١) .. فلما عَرَضَ الأمر على أعمامه دخل السرور على قلوبِهم ، وذهب معه عمُّه « حَمْزَة » إلى عم خديجة « عَمْرو بن أسد » – وفى بعض الروايات إلى أبيها « خويلد بن أسد » – لخطبتها ، فَقَبِلَ وقال : **كَرِيمٌ طَلَبَ الكَرِيمَ** ، وتزوجها (ﷺ) ، وأصدقها أربعةَ نوق ، وكان عمرها فى ذلك الوقت أربعين سنة بينما كان عمره خَمْسًا وعشرين سنة ، ولم يسبق له الزواج .. وعلى رغم هذا الفارق فقد كان شرفًا عظيمًا وأملاً لآل طالب أن يتزوَّج أحدُهُم السيدة « خديجة » .. وقد عاش النبى (ﷺ) كإنسان عادى معها قبل الرسالة خمسة عشر عامًا ثم جاءته الرسالة وهو فى سن الأربعين ، وخلال هذه الفترة ، وعلى رغم أنه كان يُسمح للرجل أن يتزوج بلا حدود – عدا ما يملك من إماء ، وما يعاشر من بغايا – فإن النبى (ﷺ) لم يعرف من النساء غير « خديجة » ، إلى ما بعد وفاتها ببضع سنوات ، مما يُؤكِّد لنا كيف كانت هذه السيدة نعم الزوجة ، ونعم الأم ، ونعم الرفيق ، ونعم الوزير والمشير .. كما يبرز إلى أى مدى كانت عِفَّةُ هذا الزوج حتى عن الحلال ..

وحين جاءته الرسالة ، وفاجأه الوحى وهو يتعبَّد فى الغار ، وعاد إلى بيته يرتجف خوفًا ، ثم يخبرها بما حصل ، هدّأت من روعه بقولها : (**أَبْشِرْ ، فَوَاللَّهِ لاَ**

---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير .

يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، فَوَاللَّه إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[1] **، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)**[2]..

وكانت السيدة « خديجة » بإجماع الكافة أول مَنْ أسلم مع النبي (ﷺ) ، وقد أوتيت من الحِكْمَة ما لم يُؤْت الرجال ، فحين رأى النَّبىُّ (ﷺ) « جبريل » على هيئته الحقيقية سادًّا بعظم خَلْقه ما بين السماء والأرض ، وله ستمائة جناح كاد يُغْشى عليه وعاد إلى بيته مرتجفًا خائفًا يقول : (**دَثِّرُونِي .. دَثِّرُونِي**) فإذا بِهَا تسأله أن يخبرها حين يراه - وكان وحده الذى يراه - فلما أخبرها رفعت غطاء رأسها ، وأسدلت شعرها ، وسألته عما إذا كان مازال يراه ، فأجابها بأنه انصرف ، فقالت له : (**أَبْشِرْ ، فَإِنَّهُ واللهِ مَلَكٌ ، ولَيْسَ بِشَيْطَان**)[3]..

وقد أنجب الرسول (ﷺ) من السيدة « خديجة » من قبل البعثة كلاًّ من : السيدة « زينب » ، والسيدة « أم كُلْثوم » ، والسيدة « رُقَيَّة » ، والسيدة « فاطمة » .. وقيل إنَّه أنجب أربعة أولاد هم : « القاسم » ، و« الطيب » و« الطاهر » ، و« عبد الله » .. والمؤكّد من أبنائه « القاسم » لأنه كان يُكْنَى به ، وقد توفى بعد أن كبر ومشى ، ويرى البعض أن « الطيب » و« الطاهر » هما لقبان لـــ « عبد الله » الذى مات وهو رضيع ، وأيًّا كانت الحقيقة فإن الأولاد الذكور قد ماتوا جميعًا وهم صغار ، أما البنات فقد عِشْن جميعًا إلى ما بعد البعثة ، والهجرة ، ولكنهن مُتْنَ جميعًا قَبْلَه (ﷺ) ، إلا السيدة « فاطمة » (رضي الله عنها)

---

[1] الكل : العاجز الفقير الذى يحتاج لمن يعوله .
[2] رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .
[3] الاستيعاب لابن عبد البر .

التى لحقت به بعد ستة أشهر من وفاته .. ولم ينجب عليه الصلاة السلام من غير السيدة « خديجة » سوى « إبراهيم » من السيدة « مارية » والذى مات صغيرًا .. وبذلك تكون السيدة « خديجة » (رضي الله عنها) هي أم ذريته إلى يوم الدين ..

وتقول السيدة « عائشة » عن حب النبى (ﷺ) للسيدة « خديجة » : **مَا غِرْتُ عَلَى أَحَد غَيْرَتى عَلَى خَدِيجَةَ ، وما بِى أَنْ أَكُونَ أدْرَكْتُها ، وذَلِكَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ النبى (ﷺ) لها ، فَقَلَّمَا كَانَ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدى إِلاَّ ويَذْكُرُها فَيُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَها يومًا مِن الأَيَّام فَأَدْرَكَتْنِى الْغِيرَةُ فَقُلْتُ : هَلْ كَانَتْ إِلاَّ عَجُوزًا ؟! فقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا** .. فغضب النبى (ﷺ) غضبًا شديدًا حتى اهتزَّ مقدم شعره وقال : (**لا واللهِ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ، فقَدْ آمَنَتْ إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي وكَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى مِنْهَا الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِها مِنَ النِّسَاء**) ، وخرج مغضبًا ، فقلتُ فى نفسى : **لا أَذْكُرُهَا بِسَيِّئَةٍ أَبَدًا** .. [1]

وقد كانت قريش – على رغم مراعاتِهَا للسيدة « خديجة » – تُؤذى النبى (ﷺ) طوال ثلاثة عشر عامًا عاشها فى مكة إلى أن هاجر ، ولم يكن يجد من يُسَرِّى عنه إلا السيدة « خديجة » التى كانت تثبته ، وتخفِّف عنه ، وتصدِّقه ، وتُهَوِّن عليه أمْرَ الناس ، وقد اشتدَّ أذاهم للنبى (ﷺ) بعد موتِها ..

وقد جاءِ الأجل السيدة « خديجة » (رضي الله عنها) قبل الهجرة بثلاثة أعوام

---

[1] الإصابة لابن حجر ، وأُسد الغابة لابن الأثير .

وبعد موت « أبى طالب » بأيام .. وسُمِّى العام الذى ماتا فيه بعام الْحُزْنِ ، فقد حزن النبى (ﷺ) عليهما حزنًا شديدًا ، ولما مرضت السيدة « خديجة » مرض الموت دخل عليها يقول : (**بالكُرْه منِّى ما أرَى منْك يا خَديجَة ، وقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فى الكُرْهِ خَيْرًا كَثيرًا .. أمَا عَلِمْت أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّجَنِى مَعَكِ فِى الْجَنَّة مَرْيَمَ بِنْت عِمْرَان ، وكَلْثَم أخت مُوسَى ، وآسِيَة امرأة فِرْعَون ؟**) .. فقالت : **وقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِكَ يا رَسُولَ اللَّه ؟!**.. قال : (**نَعَمْ**) .. قالت : **بالرِّفَاء والْبَنِينَ** .. [1]

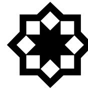
وقد ماتت (رضي الله عنها) عن خمسة وستين عامًا ، ودُفنت بمكة بالْحَجُون [2] ، وقد قال فيها النبى (ﷺ) : (**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّة : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّد ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**)[3] .. ويقول « أبو هُرَيْرَة » (رضي الله عنه) : أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ : (**يَا رَسُولَ اللَّه ، هَذه خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيه إِدَامٌ ، أَوْ طَعَامٌ ، أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا ، وَمِنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّة مِنْ قَصَبٍ [4] ، لاَ صَخَبَ [5] فيه ، وَلاَ نَصَبَ [6]**)[7] ..

وقد ماتت (رضى الله عنها) قبل أن تُفْرَض الصلاة ، أى إنَّها بلغت هذا المقام وهذه الدرجة العالية ، والمنـــزلة الرفيعة ، ولم تُصَلِّ الصلاة المفروضة ، ولم تحظ من أركان الإسلام إلا بالركن الأول وهو : (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا

---

(1) رواه ابن عساكر . (2) الحجون : مدافن أهل مكة . (3) رواه أحمد مسند بني هاشم .
(4) قصب : لؤلؤ مجوَّف واسع . (5) الصخب : الصوت المختلط المرتفع .
(6) النصب : التعب . (7) رواه البخارى كتاب المناقب .

رسول الله) فقد فُرِضَت الأركان الأربعة الأخرى بعد ذلك .. وما ذلك إلا بِحُسن معاشرتـــها لرسول الله (ﷺ) ووقوفها إلى جواره فى رحلة الدعوة إلى الله ، ومواساتـــها له بنَفْسِها ، ومالها ، ويقينها بصدقه ، وحنانـــها الدافق عليه (رضى الله عنها وأرضاها) ..



السَّيِّدَةُ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ (رضى الله عنها)

كان رسول الله (ﷺ) وحيدًا بعد موت سَيِّدَة نساءِ العالَمين ، فجاءته « خَوْلَة بنتُ حَكيمٍ » تعرض عليه أن يتزوَّج بامرأةٍ ثَيِّبٍ صالحة تَقيَّة آمَنَت به واتَّبَعَتْه ، فوافق قائلا : (**فَاذْكُرِيهَا عَلَيَّ**) .. فذهبت إليها وقالت : **مَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْك مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَة !!**.. قالت : **ومَا ذَاكَ ؟!**.. قالت : **أَرْسَلَني رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَخْطُبُك عَلَيْه** .. قالت : **وَدِدْتُ .. ادْخُلِي عَلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَلكَ لَهُ** – وكان شَيْخًا كَبِيرًا – فدخلَتْ عليه ، وقالت له الخبر – فقال : **كُفْءٌ كَرِيمٌ** ، **فمَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُك ؟**.. قالت : **تُحِبُّ ذَلكَ** .. فاستدعاها وسألها فوافقت فزوَّجها من النبي (ﷺ) [1] .. وكان أخوها غائبًا فى سفر فعاد وعلم بالخبر ، فأخذ يحثو التراب على رأسه ، فقد كان مُشْركًا ، ثم هداه الله من بعدُ للإسلام ، فكان يقول بعد إسلامه : **إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِي أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) سَوْدَةَ** [2] ..

وعاشت السيدة « سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ » (رضى الله عنها) حتى أسنَّت عند رسول الله (ﷺ) وكانت امرأة ثقيلة ثبطة فخشيت أن يُطَلِّقها ، فقالت : **لا تُطَلِّقْنِي ، وَأَمْسِكْنِي ، وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ** [3].. ففعل ، ونزل قول الله تعالى :

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير . [2] أُسد الغابة لابن الأثير . [3] رواه الترمذى كتاب المناقب .

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[1] ..

فكانت سُنَّة بعد ذلك : **أن تتنازل الزوجة عن حقوقها الزوجية مقابل أن يبقيها زوجها فى عِصْمَته** .. وقد احتجبت (رضى الله عنها) من أخ لها مشكوك فى نَسَبِهِ حتى ماتت فى آخر خلافة « عمر بن الخطاب » ، فعن السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَت : اخْتَصَمَ « سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ » و« عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ » فِي غُلَامٍ ، فَقَالَ « سَعْدٌ » : **هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ أَخِي عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُ ابْنُهُ ، انْظُرْ إِلَى شَبَهِهِ** !! وَقَالَ « عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ » : **هَذَا أَخِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وُلِدَ عَلَى فِرَاشِ أَبِي مِنْ وَلِيدَتِه**[2] !! فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) إِلَى شَبَهِهِ فَرَأَى شَبَهًا بَيِّنًا بِعُتْبَةَ ، فَقَالَ : (**هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنَ زَمْعَةَ .. الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ**[3] ، **وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ**[4] .. **وَاحْتَجِبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةُ بِنْتَ زَمْعَةَ**)[5] ..

وأصبحت قاعدة فى الإسلام أن يثبت النسب بأربعة أمور :

١- **ثبوت النَّسَب بالفراش** ، وذلك بالعقد على الزوجة والدخول بِهَا ..

٢- **ثبوت النَّسَب بالاستلحاق** ، ويكون باعتراف من الرجل وإقراره بأنه قد عاشر المرأة معاشرة الأزواج ، وأن ولدها ولدُه ..

٣- **ثبوت النَّسَب بالبيِّنة** ، أى بالشهود العدول حتى وإن أنكر الأب ..

---

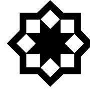
[1] سورة النساء آية ١٢٨ .   [2] وليدته : جاريته .   [3] أى لصاحب الفراش وهو الزوج .

[4] أى للزَّاني الْخَيْبَة والحِرْمان ، ومعنى الخيبة هنا : حرمان الولد الذي يَدَّعيه .

[5] رواه البخارى كتاب الفرائض .

٤- **ثبوت النَّسَب بالقافة (أى بالشبه)** ، وكان يقوم بـــها قديـــمًا رجالٌ متخصصون .. أما الآن فالطب الشرعي يقوم بذلك ..

هذا .. ويُلاحَظ من قصة السيدة « سَوْدَة » (رضى الله عنها) مدى حِرْصها على إرضاء النبى (ﷺ) ، وبقائها معه ، لتنال شَرَف لقب : (**أم الْمُؤْمِنِين**) ، وكى تَظَلَّ زوجة له (ﷺ) فى الدنيا والآخرة .. كما يُلاحَظ أن المعاشرة الزوجية ليست شَرْطًا من شروط استمرار العلاقة الزوجية ، أو السعادة بين الزوجين ، إذا تنازلت الزوجة عن هذا الحق بمحض اختيارها ورضاها ..



السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ (رضى الله عنهما)

بعد وفاة السيدة « خديجة » مباشرة جاءت امرأة عُثْمَان بن مَظْعُون : « خَوْلَة بنت حَكِيم » إلى رسول الله (ﷺ) ، وقالت له : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلاَ تَزَوَّجُ ؟!** .. قَالَ : (**مَنْ ؟**) .. قَالَت : **إِنْ شِئْتَ بِكْرًا ، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا** .. قَالَ : (**فَمَنِ الْبِكْرُ ؟**) .. قَالَت : **ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ : عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ** .. قَالَ : (**وَمَنِ الثَّيِّبُ ؟**) .. قَالَت : **سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ .. قَدْ آمَنَتْ بِكَ ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ** .. قَالَ : (**فَاذْهَبِي ، فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**)[1] .. فتوجَّهت إلى بيت « أبى بكر الصديق » ، وعرضت عليه الأمر ، فسأل : (**وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ ، وهِيَ بِنْتُ أَخِيهِ ؟**) .. فَرَجَعَتْ إلى رسول الله (ﷺ) فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ ، قَالَ : **قولي له : (أَنْتَ أَخِي فِي الإِسْلامِ ، وَابْنَتُكَ تَحِلُّ لِي)** .. ففرح سيدنا « أبو بكر » بذلك ، وزوَّجها رسول الله (ﷺ) ، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ثم بَنَى بِهَا [2] (ﷺ) بعد الهجرة ..

والسيدة « عائشة » (رضي الله عنها) تُكنى بـــ « أم عبد الله » ، نسبةً إلى « عبد الله بن الزبير » ابن أختها ، وهى أَحَبُّ نِساءِ النبى (ﷺ) إليه ، الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ ، وقد عَرَضَ سَيِّدُنا « جِبْرِيل » على النبى (ﷺ) صورتَها على حرير

---

[1] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

[2] أى جَمَعَهُمَا بناء واحد .

أخضر ، وأراه إيَّاها فى منامه ، وقال : **يا مُحَمَّدُ ، هَذِه زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** [1] .. وقال فيها رسول الله (ﷺ) : (**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ** [2] **عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**)[3] .. ويقول « عمرو بن العاص » بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاسِلِ ، فَأَتَيْتُهُ ، قُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ** ؟ .. قَالَ : (**عَائِشَةُ**) .. قُلْتُ : **مِنَ الرِّجَالِ** ؟ .. قَالَ : (**أَبُوهَا**)[4].. حقًّا فهى الصِّدِّيقَةُ بنت الصِّدِّيق ، التى نَزَل فِيها قُرْآن يُتْلى ..

وبلغ من حنان رسول الله (ﷺ) على هذه الزوجة الحبيبة بنت الحبيب أنه ذات يوم فى إحدى السفرات فُقِدَ لها عِقْد ، وكان الجيش قد استعد للرحيل ، فأمر رسول الله (ﷺ) الناس بالتماسه مما أدى إلى نفاد ما معهم من ماء ، الأمر الذى دعا سيدنا « أبا بكر » أن يدخل عليها ورسول الله (ﷺ) نائم واضع رأسه على فخذها فطعنها فى خاصرتهَا قائلاً : **حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَالنَّاسَ ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ** [5] .. وما يمنعها عن التحرك إلا أن رأس رسول الله (ﷺ) فى حجرها ، وكان ذلك سببًا فى نزول آية التيمُّم ، فكانت رحمة للأُمَّة ، الأمر الذى دعا « أُسَيْدَ بنَ حُضَيْر » أن يقول : **مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ** [6] ..

وكانت السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) تغار جدًّا على رسول الله (ﷺ) ، وكذلك كان نساؤه ، وفى إحدى الليالى ورسول الله (ﷺ) نائم عندها ، استيقظت

---

(1) رواه ابن عساكر .
(2) الثريد : طعام من اللحم والخبز المفتت .
(3) رواه البخارى كتاب المناقب .
(4) رواه أحمد والبخارى والترمذى .
(5) رواه البخارى كتاب التيمم .
(6) رواه البخارى كتاب التيمم .

فلم تجده بجوارها ، والْتَمَسَتْه فى حجرات نسائه فلم تَجِدْه ، وإنما وجدته فى المسجد ساجدا كالثوب الساقط وسمعته يقول : (**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلائكَةِ وَالرُّوحِ ، سَجَدَ لَكَ سَوَادِى ، وخَيَالِى ، وآمَنَ بِكَ فُؤَادِى ، وأَقَرَّ بِكَ لِسَانِى ، وهَأنَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يا عَظِيمُ ، يا مَنْ تَغْفِرُ الذَّنْبَ العَظِيمَ**) فعادت إلى فراشها تجرى وقد تتابعت أنفاسها ، فلما دخل (ﷺ) فراشه سمعها تلهث فقال لها : (**يا عَائِشَة ، ظَنَنْتِ أنَّ النَّبِيَّ قَدْ خَاسَ بِك** [1] **؟!**)[2] ..

وكان النبى (ﷺ) إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائه ، فَيَدْنُو مِنْهُنَّ ، فَدَخَلَ عَلَى السيدة « زَيْنَب بِنْت جَحْش » (رضى الله عنها) ، فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ ، فأحدث ذلك الغيرة فى نفوس سائر نسائه .. وتقول السيدة « عَائِشَة » (رضى الله عنها) : كَانَ النبى (ﷺ) يَمْكُثُ عِنْدَ « زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ » ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلاً ، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا و« حَفْصَةُ » : أَنَّ أَيَّتَنَا دَخلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ (ﷺ) فَلْتَقُلْ : **إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ** [3] ، **أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟!** – وَكَانَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) يَشْتَدُّ عَلَيْه أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ – فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا ، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : (**لاَ ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ ، وَقَدْ حَلَفْتُ ، فَلاَ تُخْبِرِي بِذَلِك أَحَدًا**)[4].. وكان ذلك الحديث مع السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) ، فأخبرت به السيدة « حفصة » (رضى الله عنها) ، فنـــزل

---

[1] خاس بك : خانك . [2] رواه البيهقي بنحوه .

[3] المغافير : شراب يشبه العسل فى الطعم يجعل للفم رائحة كريهة . [4] رواه البخارى كتاب الطلاق .

جبريل (عليه السلام) ، وأخبر النبى (ﷺ) بذلك ، ونزلت سورة التحريم ..

وقد كان حب النبى (ﷺ) للسيدة « عائشة » (رضى الله عنها) معلومًا لدى الجميع ، فكان الناس يَتحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ « عَائِشَةَ » ، يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مَرْضَاةَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) .. [1]

وعلى رغم حب الناس الشديد للسيدة « عائشة » (رضى الله عنها) ومعرفتهم لقدرها إلا أن بعضهم قد وقع فى حبائل المنافقين حيث أثاروا شائعة الإفك والتى تروي قصتها السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) فتقول :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَعَهُ .. فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا ، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي ، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي [2] وَأُنْزَلُ فِيهِ ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ [3] قَدِ انْقَطَعَ ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ .. قَالَتْ : وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونَنِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ [4] ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ [5] مِنَ

---

[1] رواه البخارى ، كتاب الهبة . [2] الهودج : محمل له قبة كانت النساء تركبه على ظهر البعير .
[3] خرز من بلاد ظفار . [4] يهبلن : يثقلن باللحم والشحم . [5] العلقة : الشيء القليل .

الطَّعَامِ ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا ، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي [١] الَّذِي كُنْتُ بِهِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي ، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي ، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ [٢] حِينَ عَرَفَنِي ، فَخَمَّرْتُ [٣] وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ ، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا ، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوغِرِينَ [٤] فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ [٥] وَهُمْ نُزُولٌ .. قَالَتْ : فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ [٦] : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ .. قَالَ « عُرْوَةُ » : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ فَيُقِرُّهُ ، وَيَسْتَمِعُهُ ، وَيَسْتَوْشِيهِ [٧] .. وَقَالَ « عُرْوَةُ » أَيْضًا : لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلاَّ « حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ » ، و« مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ » ، و« حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ » فِي نَاسٍ آخَرِينَ لا عِلْمَ لِي بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنَّ الذى تولى كِبْرَ ذَلِكَ [٨] يُقَالُ لَهُ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ » .. قَالَ « عُرْوَةُ » :

---

[١] تيممت مَنْزِلى : قصدتُ واتجهتُ إليه .

[٢] استرجاعه : أى قوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .

[٣] خمرت : غطَّيت .

[٤] الموغر : النازل فى وقت شدة الحر للراحة .

[٥] حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع .

[٦] الإفك : أقبح الكذب وأفحشه .

[٧] يطلبه ويستزيد منه من مُحدّثه .

[٨] أى معظمه .

كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ ، وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذي قَالَ :

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قَالَتْ « عَائِشَةُ » : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ [١] حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا ، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ ، لا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ : (**كَيْفَ تِيكُمْ ؟**)[٢] ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، فَذَلِكَ يَرِيبُنِي ، وَلا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ مَعَ « أُمِّ مِسْطَحٍ » قِبَلَ الْمَنَاصِعِ [٣] ، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا ، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ [٤] قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا ، قَالَتْ : وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا .. قَالَتْ : فَانْطَلَقْتُ أَنَا و« أُمُّ مِسْطَحٍ » - وَهِيَ ابْنَةُ : أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأُمُّهَا : بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَابْنُهَا : مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ - فَأَقْبَلْتُ أَنَا و« أُمُّ مِسْطَحٍ » قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا ، فَعَثَرَتْ « أُمُّ مِسْطَحٍ » فِي مِرْطِهَا [٥] فَقَالَتْ : **تَعِسَ مِسْطَحٌ** ، فَقُلْتُ لَهَا : **بِئْسَ مَا قُلْتِ ، أَتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْرًا ؟!** فَقَالَتْ : **أَيْ هَنْتَاهْ ، أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟!** فقلتُ : **مَا قَالَ ؟!** فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ ..

---

[١] اشتكيت : مرضت . [٢] يشير إلى عائشة . [٣] مواضع قضاء الحاجة في الخلاء .

[٤] الكنف : جمع كنيف ، وهو موضع مستور من بناء لقضاء الحاجة .

[٥] المرط : كساء من صوف يؤتزر به .

قَالَتْ : فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : (**كَيْفَ تيكُمْ ؟**) .. فَقُلْتُ لَهُ : **أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ ؟** .. قَالَتْ : وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا .. قَالَتْ : فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّه (ﷺ) فَقُلْتُ لأُمِّي : **يَا أُمَّتَاهُ مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟** قَالَتْ : **يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْك ، فَوَاللَّه لَقَلَّمَا كَانَت امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا** .. قَالَتْ : فَقُلْتُ : **سُبْحَانَ اللَّه ، أَوَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا ؟!** .. قَالَتْ : فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ [١] لِي دَمْعٌ ، وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ [٢] ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي .. قَالَتْ : وَدَعَا رَسُولُ اللَّه (ﷺ) « عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب » ، و« أُسَامَةَ بْنَ زَيْد » حِينَ اسْتَلْبَثَ [٣] الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِه ، قَالَتْ : فَأَمَّا « أُسَامَةُ » فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِه ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِه ، فَقَالَ « أُسَامَةُ » : **أَهْلُكَ وَلا نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا** .. وَأَمَّا « عَلِيٌّ » فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ** .. قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّه (ﷺ) « بَرِيرَةَ » فَقَالَ : (**أَيْ بَرِيرَةُ ، هَلْ رَأَيْت مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُك ؟**) .. قَالَتْ لَهُ « بَرِيرَةُ » : **وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ [٤] غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ [٥] فَتَأْكُلُهُ** .. قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) مِنْ يَوْمِه فَاسْتَعْذَرَ مِنْ « عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ » وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : (**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ،**

---

(١) يرقأ : ينقطع . (٢) لا أكتحل بنوم : لا أنام . (٣) استلبث : أبطأ وتأخر .
(٤) أغمصه : أعيبه . (٥) الداجن : الحيوانات والطيور التى تربى بالبيت .

مَنْ يَعْذِرُنِي[1] **مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؟ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا ، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي**) .. قَالَتْ : فَقَامَ « سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ » – أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ – فَقَالَ : **أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ** .. قَالَتْ : فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَهُوَ « سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ » ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ – قَالَتْ : وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلاً صَالِحًا ، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ – فَقَالَ لِسَعْدٍ : **كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ ، لاَ تَقْتُلُهُ ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ** .. فَقَامَ « أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ » – وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ – فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : **كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ ، لَنَقْتُلَنَّهُ ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ** .. قَالَتْ : فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا ، وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ .. قَالَتْ : فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ .. قَالَتْ : فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ ، لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ .. قَالَتْ : وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا ، لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى إِنِّي لأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي ، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا ، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي .. قَالَتْ : فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، قَالَتْ : وَلَمْ

---

[1] يعذرني : ينصرني .

يَجْلسْ عنْدي مُنْذُ قيلَ مَا قيلَ قَبْلَهَا ، وَقَدْ لَبثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْه فِي شَأْنِي بشَيْءٍ .. قَالَتْ : فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) حينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ : (**أَمَّا بَعْدُ يَا عَائشَةُ ، إِنَّهُ بَلَغَني عَنْك كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْت بَريئَةً فَسَيُبَرِّئُك اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْت أَلْمَمْت بذَنْب فَاسْتَغْفري اللَّهَ وَتُوبي إِلَيْه ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه**) .. قَالَتْ : فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّه (ﷺ) مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعي حَتَّى مَا أُحسُّ منْهُ قَطْرَةً ، فَقُلْتُ لأَبي : **أَجبْ رَسُولَ اللَّه** (ﷺ) **عَنِّي فيمَا قَالَ** .. فَقَالَ أَبي : **وَاللَّه مَا أَدْري مَا أَقُولُ لرَسُول اللَّه** (ﷺ) .. فَقُلْتُ لأُمِّي : **أَجيبي رَسُولَ اللَّه** (ﷺ) **فيمَا قَالَ** .. قَالَتْ أُمِّي : **وَاللَّه مَا أَدْري مَا أَقُولُ لرَسُول اللَّه** (ﷺ) .. فَقُلْتُ وَأَنَا جَاريَةٌ حَديثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ منَ الْقُرْآن كَثيرًا : **إِنِّي وَاللَّه لَقَدْ عَلمْتُ لَقَدْ سَمعْتُمْ هَذَا الْحَديثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ في أَنْفُسكُمْ ، وَصَدَّقْتُمْ به ، فَلَئنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَريئَةٌ لاَ تُصَدِّقُوني ، وَلَئن اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي منْهُ بَريئَةٌ لَتُصَدِّقُنني ، فَوَاللَّه لاَ أَجدُ لي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ حينَ قَالَ** (**فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصفُونَ**) .. قَالَتْ : ثُمَّ تَحَوَّلْتُ ، فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فرَاشي ، قَالَتْ : وَأَنَا حينَئذ أَعْلَمُ أَنِّي بَريئَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئي ببَرَاءَتي ، وَلَكنْ وَاللَّه مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزلٌ في شَأْني وَحْيًا يُتْلَى ، لَشَأْني في نَفْسي كَانَ أَحْقَرَ منْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فيَّ بأَمْرٍ ، وَلَكنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّه (ﷺ) في النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُني اللَّهُ بهَا ، فَوَاللَّه مَا رَامَ [1] رَسُولُ اللَّه (ﷺ) مَجْلسَهُ ، وَلاَ

---

(1) رام : فارق وبرح .

خرَجَ أَحدٌ منْ أَهْلِ الْبيْتِ حتَّى أُنْزِلَ علَيْه ، فَأَخذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ من الْبُرحاءِ [1] ، حتَّى إِنَّهُ لَيتَحدَّرُ منْهُ منَ الْعرَق مثْلُ الْجُمانِ [2] وهُو فِي يوْمٍ شَاتٍ منْ ثقَلِ الْقَوْلِ الَّذي أُنْزلَ علَيْه ، قَالَتْ : فَسُرِّيَ عنْ رسُولِ اللَّه (ﷺ) وهُو يضْحكُ ، فكَانَتْ أَوَّلَ كَلمةٍ تَكَلَّمَ بهَا أَنْ قَالَ : (**يَا عَائشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ برَّأَك**) .. قَالَتْ : فَقَالَتْ لِي أُمِّي : **قُومي إِلَيْه** ، فقُلْتُ : **وَاللَّه لا أَقُومُ إِلَيْه ، فَإِنِّي لاَ أَحْمَدُ إلاَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ** .. قَالَتْ : وأَنْزلَ اللَّهُ تَعالَى (إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأَخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِى مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ

---

[1] البرحاء : الشدة والتغير فى الحال .

[2] الجمان : حبات من اللؤلؤ ، والمراد : ينـــزل العرق على هيئة اللؤلؤ .

وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾)[1] ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي .. قَالَ « أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ » – وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِه مِنْهُ وَفَقْرِه – : **وَاللَّه لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ** .. فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2] ، قَالَ « أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ » : **بَلَى وَاللَّه ، إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي** .. فَرَجَعَ إِلَى « مِسْطَحٍ » النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : **وَاللَّه لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا** .. قَالَتْ « عَائِشَةُ » : وَكَانَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، فَقَالَ لـــ « زَيْنَبَ » : **مَاذَا عَلِمْت أَوْ رَأَيْت ؟** .. فَقَالَتْ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَاللَّه مَا عَلِمْتُ إِلاَّ خَيْرًا** .. قَالَتْ « عَائِشَةُ » : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ .. قَالَتْ : وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا « حَمْنَةُ » تُحَارِبُ لَهَا ، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ .. ثم قَالَتْ السيدة « عَائِشَةُ » : وَاللَّه إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ : (**سُبْحَانَ اللَّه ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ**) .. قَالَتْ : **ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّه** ..[3]

هذا .. ونستشعر من هذه القصة أن الله تعالى قد أراد أن يَبْتَلِي رسول الله (ﷺ) بِهَذه القصة كما ابْتَلَى بِهَا سيدنا « أبا بكر الصديق » (رضي الله عنه) والسيدة « أم رومان » زوجته ، وكذلك كانت ابتلاء وتمحيصًا للسيدة « عائشة » (رضي الله عنها) حتى

---

(1) سورة النور الآيات من ١١ : ٢٠ . (2) سورة النور آية ٢٢ . (3) رواه البخارى ومسلم .

تَفْتَقِرَ إلى الله ، ويشتدَّ افتقارها إليه ، فتلجأ إليه وتيأس من الخلائق - فالتوكُّل يأتى دائما بالفَرَج - وهى عبرة للأمة إلى أن تقوم الساعة ..

كما تُبين لنا هذه القصة خطورة الوقوع فى أعراض الناس ، وخاصة النساء ، وخطورة ترديد الشائعات ، وأن مَنْ يقع فى أعراض الناس دون دليل يجب أن يُجلد ثمانين جلدة حفاظًا على سمعة الناس ، وعلى أعراضهم ، وبيوتِهم ..

هذا .. وقد اجتمع نساء النبي (ﷺ) يومًا وطالبْنَه بأن يوسِّع عليهن بعض الشيء وقد وسَّع الله عليه ، فغضب إذ أراد لهن أن يَتَقَشَّفْنَ حتى لا يأخذن أجرهن فى الدنيا ، وإنما فى الآخرة ، ونزلت آية التخيير : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا)[1] .. فخيَّر رسول الله (ﷺ) نساءه تنفيذًا لأمر الله عز وجل ، فبدأ بالسيدة « عَائِشَة » (رضي الله عنها) فَقَالَ : (**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ لَكِ أَمْرًا ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي**[2] **أَبَوَيْكِ**) .. قَالَتْ : **مَا هُوَ ؟!** .. فَتَلا عَلَيْهَا قول الله تبارك وتعالى ، قَالَتْ « عَائِشَةُ » : **أَفِيكَ أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ ؟! بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ** ، قَالَ : (**لا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلاَّ أَخْبَرْتُهَا .. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي**

---

[1] سورة الأحزاب الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .
[2] الاستئمار : الاستئذان والاستشارة .

مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا)[١] .. ثُمَّ خَيَّرَ (ﷺ) نِسَاءَهُ كُلَّهُنَّ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ [٢]..

وحين مَرِضَ الرسول (ﷺ) مرض الموت كان يتحرَّى يوم « عائشة » .. وقد مَاتَ (ﷺ) فى بيتها ، وهى تقول فى ذلك : كان رسول الله (ﷺ) وهو صحيح يقول : (**إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّة ، ثُمَّ يُخَيَّرَ**) .. وتقول : إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي [٣]، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَلَ عَلَيَّ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن أبى بَكْر » وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ ، فَقُلْتُ : **آخُذُهُ لَكَ** ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : **أُلَيِّنُهُ لَكَ** ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَلَيَّنْتُهُ ، فَأَمَرَّهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ [٤] فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْت سَكَرَات**) .. ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : (**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**) ، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ ، فَقُلْتُ : إِذًا لاَ يُجَاوِرُنَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ [٥]..

وقد آثرت السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) سيِّدَنا « عُمَر بن الْخَطَّاب » (رضي الله عنه) على نَفْسِها حين أرسل مستأذنًا في أن يُدفَنَ بجوار الرسول (ﷺ) ، وتنازلت

---

[١] رواه أحمد ، ومسلم فى كتاب الطلاق .

[٢] رواه البخاري كتاب النكاح .

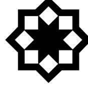
[٣] السحْر : أسفل الصدر .. والنحر : أعلى الصدر .

[٤] الركوة : إناء من جلد .

[٥] رواه البخارى كتاب المغازى .

بذلك عما كانت قد أعدَّته لنفسها ..

وقد تُوفِّيَت (رضي الله عنها) سنة سبع وخمسين من الهجرة ، بعد وفاة النبى (ﷺ) بسبع وأربعين سنة كانت تروي فيها أحاديثه للصحابة والتابعين .. ويقول « عُروة بن الزُّبَيْر » وهو ابن أختها : **ما رأيتُ أَحَدًا أعلَمَ بفقْهٍ ، ولا بطِبٍّ ، ولا بشِعر ، مِن عائشة** [1].. وقد كان الصحابة يسألونُهَا فى علم الفرائض (المواريث) وهو من أصعب علوم الشرع .. وقد روت الكثير من الأحاديث عن النبى (ﷺ) ..



---

[1] الإصابة لابن حجر .

السَّيِّدَةُ حَفْصَةُ (رضى الله عنها)

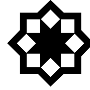
هى « حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب » .. كانت من المهاجرات ، وتُوفِّى زوجُها : « خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَة السَّهْمِىّ » بالمدينة ، وكان ممن شهد غزوتي « بَدْر » و« أُحُد » ، ويخبرنا « عُمَرُ » (رضي الله عنه) بِمَا فعل بعد أن تَأَيَّمَتْ « حَفْصَةُ » ابنته مِنْ « خُنَيْسٍ » فيقول : فَلَقيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْه حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : **إِنْ شئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ** ، قَالَ : **سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي** .. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ، فَقَالَ : **قَدْ بَدَا لِي أَلاَّ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا** .. قَالَ « عُمَرُ » : فَلَقيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : **إِنْ شئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ** .. فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا .. فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ .. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ .. فَلَقِيَنِي « أَبُو بَكْرٍ » فَقَالَ : **لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ** ؟ قُلْتُ : **نَعَمْ** ، قَالَ : **فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلاَّ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) قَدْ ذَكَرَهَا** ، **فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّه (صلى الله عليه وسلم)** ، **وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا** .. [1]

وفى يوم من الأَيَّام دخل « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) على ابنته فوجدها تبكي فقال لها : **ما يُبْكِيك ؟!** .. فقالت : **لَقَدْ طَلَّقَنِي رَسُولُ الله** ، فأخذ « عمر » يحثو

---

[1] رواه البخارى كتاب المغازى .

التراب على رأسه ويقول : **ما يَعْبَأُ اللَّهُ بعُمَرَ وابْنَته بَعْدَهَا** .. فنَزَل « جبريل » (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُرَاجِعَ حَفْصَة بِنْتَ عُمَر رَحْمَةً لِعُمَر**)[1] .. وقال : (**إِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ ، وإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِى الْجَنَّة**)[2] ، فراجَعَهَا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وبقيت معه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وقد عاشت بعده إحدى وثلاثين سنة إذ تُوفِّيَتْ فى السنة الحادية والأربعين من الهجرة ..



(1) الإصابة لابن حجر .

(2) أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْش (رضى الله عنها)

هى بنت عمة النبي (ﷺ) : « أميمة بنت عبد المطلب » ، وتكنى بـــ « أمِّ الْحَكَم » .. وهى شريفة قُرَشِيَّة ، وكانت من المهاجرات الأُوَل إلى المدينة ، فقد هاجرت مع أخيها « عبد الله بن جحش » الذى قُتِلَ من بعدُ فى غزوة « أُحُد » ..

وكانت تتميَّز (رضي الله عنها) : بالتقوى ، والْحَسَب ، والشَّرَف ، والْجَمَال ، ومع ذلك تزوَّجت مِمَّن هو أقل منها نَسَبًا وشَرَفًا – وهو « زَيْد بن حَارِثَة » (رضي الله عنه) – فقد كان يُعَدُّ من الْمَوَالِي وهى الشريفة القرشية ، وكان ذلك طاعة لله ورسوله (ﷺ) .. تقول (رضي الله عنها) : خطبني عدَّة من قريش ، فأَرْسَلْتُ أختي « حَمْنَة بنت جَحْش » إلى رسول الله (ﷺ) أَسْتَشيرهُ ، فقال لها رسول الله (ﷺ) : (**أَيْنَ هِيَ مِمَّنْ يُعَلِّمُهَا كِتَابَ رَبِّهَا ، وسُنَّةَ نَبِيِّهَا ؟**) .. قالت : **ومَنْ هُوَ يا رَسُولَ الله ؟** .. قال : (**زَيْد بن حَارِثَة**) .. قالت : فغَضِبَتْ « حَمْنَة » غضبًا شديدًا فقالت : **يَا رَسُولَ الله أَتُزَوِّجُ ابْنَةَ عَمَّتِك مَوْلاكَ ؟** .. قالت : وجاءَتْني فأَخْبَرَتْني ، فَغَضِبْتُ أشَدّ مِنْ غَضَبِها وقلتُ أشَدّ مِنْ قَوْلِهَا ، فأنزل الله عَزَّ وجَلَّ : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)[1] ، فَأَرْسَلْتُ إلى رسُولِ الله (ﷺ) فقلتُ : **إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وأُطِيعُ اللَّهَ ورَسُولَهُ** ،

[1] سورة الأحزاب آية ٣٦ .

افْعَلْ يا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْتَ .. فزَوَّجْني رَسُولُ اللهِ (ﷺ) « زَيْدَ بْنَ حَارِثَة » ، فكنتُ أزرأ عليه فشكاني إلى رَسُولِ الله (ﷺ) فعاتَبني رَسُولُ الله (ﷺ) ، ثم عدتُ فَأَخَذْتُهُ بِلِسَانِي ، فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) ، فقال رَسُولُ الله (ﷺ) : (**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**) ، فقال : **أنا أُطَلِّقُهَا** [1] .. فطلَّقها (رضي الله عنه) زُهْدًا فيها .. ولما انقضت عِدَّتها ، إذا بِمَن كان زوجها يطرق بابـــها ، ويدير ظهره للباب مُتأَدِّبًا – فلم يكن الحجاب قد فُرض بعد – ويقول بصوت خَفيض : **بَعَثَ بِى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَذْكُرُكِ** [2] .. فردت عليه قائلة : **لَنْ أُحْدِثَ شَيْئًا حَتَّى أُؤامِرَ رَبِّى عَزَّ وجَلَّ** [3] .. فَأَبْلَغَ « زيد » الرسولَ (ﷺ) بذلك ، ودخلت السيدة « زينب » مَسْجِدَها فى بيتها تُصَلِّى وتَسْتَخِير الله تبارك وتعالى ، وإذا بِهَا تُفَاجَأُ بدُخُول رسول الله (ﷺ) عليها بدون استئذان وهى مكشوفة الشَّعْر مُبَشِّرًا إيَّاها بأنَّها أصبحت زوجته إذ نزل « جبريل » يُبَلِّغه قولَ الله تعالى : (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا)[4] ، فقالت (رضي الله عنها) : **يَا رَسُولَ اللهِ بِلاَ خِطْبَة ولا إِشْهَاد ؟!** .. فقال : (**اللَّهُ زَوَّجَ ، وجِبْرِيلُ الشَّاهِدُ**)[5].. وبذلك أصبحت (رضي الله عنها) من أمهات المؤمنين ، وبطل شرع الجاهلية بتحريم الزواج من أزواج الأبناء بالتَّبَنِّي ..

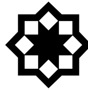
---

[1] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء . [2] أى بعثني كى أخطبك له . [3] أُسد الغابة لابن الأثير .
[4] سورة الأحزاب آية ٣٧ . [5] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء .

وهكذا تَمَّ هذا الزواج بغير عَقْد ، وبغير شُهُود ، فقد زُوِّجا من فوق سبع سماوات ، وبزواجه (ﷺ) بِها فُرِضَ الْحِجَابُ على أُمَّهات المؤمنين ، وتشهد لها السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) فتقول : **مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِى الدِّين ، وأتْقَى لله ، وأصْدَقَ حَدِيثًا ، وأَوْصَلَ لِلرَّحِم ، وأعْظَمَ أَمَانَةً وصَدَقَةً مِنْ زَيْنَب** [1] ، وتقول : قال رسول الله (ﷺ) : (**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**) ، فَكُنَّا نتطاول أَيُّنا أطولُ يَدًا ، ثم فوجئنا بوفاتِها ، فعَلِمْنَا أن طول اليد كناية عن كثرة الصَّدَقَة ، فكانت هى أطولنا يدًا لأَنَّها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق [2] .. وقد وصفها النبى (ﷺ) بأَنَّها : (**أوَّاهَة**) أى مُتَخَشِّعَة مُتضَرِّعَة إلى الله عز وجل ، فقال : (**إِنَّ زَيْنَب بِنْت جَحْشٍ لأَوَّاهَة**)[3] ..

وتقول السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) : **لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (ﷺ) تُسَامِينِى فِى حُسْن الْمَنْزِلَة عِنْدَهُ إلاَّ زَيْنَب بِنْت جَحْشٍ ، وكانت تَفْخَر عَلَى نِسَاء النَّبِيِّ (ﷺ) وتقول : إِنَّ آبَاءَكُنَّ أَنْكَحُوكُنَّ ، وإِنَّ الله أَنْكَحَنِي إِيَّاه** [4]..

وقد ماتت (رضى الله عنها) سنة عشرين من الهجرة ، وصلَّى عليها « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) ، ودُفِنَت بالبقيع ..



---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير .

(٢) رواه مسلم بنحوه كتاب فضائل الصحابة .

(٣) أُسد الغابة لابن الأثير .

(٤) أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ (رضى الله عنها)

هى « هنْد بنت أُمَيَّة بن الْمُغيرَة » المشهور بـــ « زاد الرَّاكِب » وكان من أجود رجال قُرَيش المشهورين بالكَرَم ، وكانت من المهاجرات إلى الْحَبَشَة مع زوجها « أبى سَلَمَة بن عبد الأَسَد » من بنى مَخْزُوم [1] ، وعادا إلى « مَكَّة » مع مَنْ عاد إليها بعد سريان إشاعة إسلام أهلها .. ولما تبيَّن عدم صحَّة هذه الإشاعة ، واشتدَّ إيذاء أهل « مَكَّة » للمسلمين ، ولِمَنْ عاد من الْحَبَشَة على وجه الخصوص ، قرَّرا الهجرة إلى المدينة المنوَّرة .. ولما تجهَّزا للرحيل ، وأخذا معهما ابنهما الصغير خرج عليهم نَفَرٌ من قوم الزوجة وقالوا لـــ « أبى سلمة » : **هَذِه نَفْسُكَ غَلَبْتَنا عَلَيْهَا ، أَرَأَيْتَ صاحِبَتَنا هذه ؟! عَلاَمَ تُتْرَك تُسَيِّرُها فى البلاد ؟!** [2] .. فنزَعُوها منه ، فأخذت ولدها ، وإذا بأهل زوجها ينـــزعون منها ولدها فأصبحت : هى فى قومها ، وأصبح ابنها مع أهل زوجها .. وخرج الزوج وحيدًا إلى المدينة ، وتفرَّق شمل الأسرة ، وظلت الزوجة تبكى ليلها ونَهَارها .. فلا هى هاجرت مع زوجها ، ولا تركوا لها ابنها ، ومضى عام كامل وهى فى هذا العذاب حتى رَقَّ لها بعض أهل زوجها فتركوا لها ابنها يرحل معها ، ورحلت إلى المدينة ، ولحقت بزوجها ، والْتَأَمَ شمل الأسرة ثانية .. وما لبث زوجها أن استُشهد فى سبيل الله وانقضت عِدَّتُها

---

(1) الإصابة لابن حجر .

(2) أُسد الغابة لابن الأثير .

فأرسل إليها رسول الله (ﷺ) « عُمَرَ بن الخطاب » يخْطبها له ، فَقَالَتْ : **أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى ، وَأَنِّي امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ** [1] ، **وَلَيْس أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدٌ** .. فَأَتَى « عُمَرُ » رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : **ارْجِعْ إِلَيْهَا فَقُلْ لَهَا : أَمَّا قَوْلُكِ : (إِنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى) فَسَأَدْعُو اللَّهَ لَكِ فَيُذْهِبُ غَيْرَتَكِ .. وَأَمَّا قَوْلُكِ : (إِنِّي امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ) فَسَتُكْفَيْنَ صِبْيَانَكِ** [2] .. **وَأَمَّا قَوْلُكِ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدٌ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ وَلاَ غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ** [3] .. وحين بلغها ذلك رضيت ، وتزوجها رسول الله (ﷺ) ، وأصبحت من أمهات المؤمنين (رضى الله عنهن) .. وبزواجه (ﷺ) بِهَا نشأت قاعدة شرعية : **أن الرجل المتزوج إذا تزوج بامرأة جديدة وله زوجات أخريات فللزوجة الجديدة – إن كانت بِكْرًا – أن يبقى عندها سبعة أيام متصلة ثم يدور على نسائه كل واحدة ليلة ، وإن كانت ثيبًا بقى عندها ثلاثة أيام ثم يدور على نسائه ..**

وقد رَوَت عن النبى (ﷺ) أحاديث هامة ، منها الحوار الذى دار بين « النجاشى » و« عبد الله بن أبى ربيعة » و« عمرو بن العاص » ، اللَّذَيْن أرسَلَهما ملأُ قُرَيش إلى الحبشة لإقناع « النجاشى » بتسليمهما المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، فقد رُوى عَنها أنَّها (رضى الله عنها) قالت : لَمَّا ضَاقَتْ مَكَّةُ ، وأُوذِىَ أصْحَابُ رَسُولِ الله (ﷺ) ، وفُتِنُوا ورَأَوْا ما يُصِيبُهُمْ مِنَ البَلاءِ والْفِتْنَةِ فِى دِينِهِمْ ،

[1] أى لها صبيان .
[2] أى إنه (ﷺ) سيتولَّى كفالتهم .
[3] رواه النسائي كتاب النكاح .

وأنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) لا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلكَ عَنْهُمْ ، وكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) في مَنَعَةٍ [1] منْ قَوْمِه ومِنْ عَمِّه لا يَصِلُ إِلَيْه شَيْءٌ ممَّا يَكْرَهُ وممَّا يَنَال أَصْحَابَهُ ، قال لَهُمْ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : (**إنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلكًا لا يُظْلَمُ أَحَدٌ عنْدَهُ فَالْحقُوا بِبلادِه حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا ومَخْرَجًا ممَّا أَنْتُم فِيه**) .. فَخَرَجْنَا إِلَيْها أَرْسَالاً [2] حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا ، فَنَزَلْنَا بخَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ آمنينَ عَلَى دِينِنَا ولَمْ نَخْشَ فِيهَا ظُلْمًا .. فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّا قَدْ أصبْنَا دَارًا وأَمْنًا ، غَارُوا [3] منَّا فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيّ فِينَا لِيُخرِجُونَا منْ بِلادِهِ ولِيَرُدَّنا عَلَيْهِمْ .. فَبَعَثُوا « عَمْرَو بْنَ العَاص » و« عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ » ، فَجَمَعُوا لَهُ هَدَايَا وَلِبَطَارِقَتِه [4] ، فَلَمْ يَدَعُوا منْهُمْ رَجُلاً إِلاَّ هَيَّأُوا لَهُ هَدِيَّةً عَلَى حِدَةٍ ، وقَالُوا لَهُمَا : **ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أن تَتَكَلَّمُوا فِيهِمْ ، ثُمَّ ادْفَعُوا إِلَيْه هَدَايَاهُ ، فَإِن اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ [5] فَافْعَلُوا** .. فَقَدمَا عَلَيْه فَلَمْ يَبْقَ بِطْرِيقٌ منْ بَطَارِقَته إلاَّ قَدَّمُوا إِلَيْه هَدِيَّتَهُ [6] ، فَكَلَّمُوهُ فَقَالُوا لَهُ : **إِنَّمَا قَدمْنَا عَلَى هَذَا الْمَلِكِ فِي سُفَهَائِنَا ، فَارَقُوا أَقْوَامَهُمْ فِي دِينِهِمْ ولَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ .. فَبَعَثَنَا قَوْمُهُمْ لِيَرُدَّهُمُ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ ، فَإذَا نَحْنُ كَلَّمْنَاهُ فَأَشِيرُوا عَلَيْه بِأَنْ يَفْعَلَ** .. فقالوا : **نَفْعَل** .. ثُمَّ قدَّموا إلى النَّجَاشِيِّ هَدَايَاه ، وكَانَ مِنْ أَحَبِّ مَا يُهْدُونَ إِلَيْهِ

---

[1] أى قوة من قومه ، تمنع من يريده بسوء . [2] أرسالا : جماعات .

[3] غاروا : شعروا بالغيرة ، والغيرة : كراهة المشاركة فى محبوب .

[4] جمع بطريق ، وهو الحاذق بالحرب وأمورها – بلغة الروم ، وهو ذو منصب وتقدم عندهم .

[5] أى قبل أن يكلم النجاشي جعفرًا وأصحابه . [6] المراد بِهَا : الرشوة باسم الهدية .

منْ مَكَّةَ الأَدَمُ [١] .. فلمَّا أَدْخَلُوا عَلَيْه هَدَايَاهُ قَالُوا لَهُ : **أَيُّهَا الْمَلكُ ! إنَّ فتْيَةً منَّا سُفَهَاءَ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ولَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدعٍ لا نَعْرِفُهُ ، وقَدْ لَجَئُوا إِلَى بِلادِكَ ، وقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ عَشائِرُهُمْ : آبَاؤُهُمْ وأَعْمَامُهُمْ وقَوْمُهُم لتَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ ، فَإنَّهُمْ أعْلَى بِهِمْ عَيْنًا** [٢] ، **فَإِنَّهُم لَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ فَتَمْنَعَهُمْ لِذَلكَ** .. فغَضبَ ثُمَّ قال : **لاَ لَعَمْرُ الله ! لاَ أَرُدُّهُمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ ، فَأُكَلِّمَهُمْ وأَنْظُرَ مَا أمْرُهُمْ ، قَوْمٌ لَجَئُوا إِلَى بِلاَدِي واخْتَارُوا جِوَارِي عَلَى جِوَارِ غَيْرِي فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولُونَ رَدَدْتُهُمْ عَلَيهِمْ ، وإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ ، ولَمْ أَدْخُلْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَهُمْ ، ولَمْ أُنْعِمْ عَيْنًا** [٣] ..

فلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ سَلَّمُوا وَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ ، فقال : **أَيُّهَا الرَّهْطُ** [٤] **أَلاَ تُحَدِّثُونِي مَا لَكُمْ لاَ تُحَيُّونِي** [٥] **كَمَا يُحَيينِي مَنْ أَتَانَا مِنْ قَوْمِكُمْ ؟ فَأَخْبِرُونِي مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ؟ ومَا دِينُكُمْ ؟ أَنَصَارَى أَنْتُمْ ؟** .. قالوا : **لا** .. قال : **أَفَيَهُودٌ أَنْتُمْ ؟** قالوا : **لا** .. قال : **فَعَلَى دِين قَوْمِكُمْ ؟** قالوا : **لا** .. قال : **فَمَا دِينُكُمْ ؟** قالوا : **الإِسْلاَمُ** .. قال : **ومَا الإِسْلاَمُ ؟** قالوا : **نَعْبُدُ اللَّهَ ، لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** .. قال : **مَنْ جَاءَكُمْ بِهَذَا ؟** قالوا : **جَاءَنَا بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِنَا ، قَدْ عَرَفْنَا وَجْهَهُ** [٦] **ونَسَبَهُ ، بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْنَا كَمَا بَعَثَ الرُّسُلَ إِلَى مَنْ قَبْلَنَا ، فَأَمَرَنَا بِالْبِرِّ والصَّدَقَةِ والوَفَاءِ وأَدَاءِ**

---

[١] جمع أديم وهو الجلد المدبوغ .
[٢] أى أبصر بهم ، وأعلم بحالهم .
[٣] أى لم أكرمهم بردهم إليهم و لم أقر عينهم .
[٤] الرهط : الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة .
[٥] لا تحيونى ؟ : لا تسجدون لى ؟
[٦] أى ذاته وجاهه .

الأَمَانَة ، ونَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ الأَوْثَانَ ، وأَمَرَنَا بعِبَادَة الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، فصَدَّقْنَاهُ ، وعَرفنَا كَلامَ الله ، وعلمنا أَنَّ الَّذي جَاءَ به منْ عنْد الله ، فَلَمَّا فَعَلْنَا ذَلكَ عَادَانَا قَوْمُنَا ، وعَادُوا النَّبيَّ الصَّادَق وكَذَّبُوهُ ، وأَرادُوا قَتْلَهُ ، وأَرَادُونا عَلَى عبَادَة الأَوْثَان ، فَفرَرْنَا إِلَيْكَ بديننا ودمَائنَا منْ قَوْمنَا .. قال : **والله إِنَّ هَذَا لَمنَ الْمشْكَاة** [1] **الَّتي خَرَجَ منْهَا أَمْرُ مُوسَى ..**

قال « جعْفَر » : **وأَمَّا التَّحيَّةُ فَإِنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) أَخْبَرَنَا أَنَّ تَحيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّة : السَّلام ، وأَمَرَنَا بذَلكَ ، فَحَيَّيْنَاكَ بالَّذي يُحَيِّي به بَعْضُنَا بَعْضًا .. وأَمَّا عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : فَعَبْدُ الله ورَسُولُهُ وكَلمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ منْهُ ، وابْنُ العَذْرَاءِ الْبَتُول** [2] ..

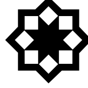
فأخذ « النجاشي » عُودًا وقال : **والله مَا زَادَ ابْنُ مَرْيَم عَلَى هَذَا وَزْنَ هَذَا الْعُود ..** فقال عُظَمَاء الْحَبَشَة : **والله لَئنْ سمعَت الْحَبَشَةُ لَتخْلَعَنَّك ..** فقال : **والله لا أَقُولُ في عيسَى غَيْرَ هَذَا أَبدًا ، ومَا أَطَاعَ اللَّهُ النَّاسَ فيَّ حينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكي ، فَأَطيعَ النَّاسَ في دينِ الله !! مَعَاذَ الله منْ ذَلكَ ..** [3]

وكانت « أم سلمة » (رضي الله عنها) من آخر نساء النبى (ﷺ) لَحَاقًا به ، وقد ماتت فى العام التاسع والخمسين من الهجرة ، أى بعد انتقاله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى بتسع وأربعين سنة ، وقد ماتت فى خلافة « يَزِيد بن مُعَاوِيَة » ، وأوصت

---

(1) المشكاة هنا بمعنى المصباح ، وأراد القول إن القرآن والتوراة كلام الله تعالى ، وأنهما من مصدر واحد .
(2) أى المنقطعة عن الرجال ولا شهوة لها فيهم . (3) البداية والنهاية لابن كثير .

بأن يصلِّى عليها « سَعِيد بن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل » أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وفى رواية أخرى أنَّها أوصت بأن يصلى عليها « أبو هريرة » [1] ، وقد دُفِنَتْ (رضي الله عنها) فى البقيع ..



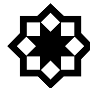
[1] الاستيعاب لابن عبد البر .

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ (رضى الله عنها)

هى « زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الهِلالِيَّة » .. كانت زوجة لـــ « عَبْدِ الله بن جَحْش » وهو شقيق السيدة « زينب بنت جحش » أم المؤمنين ، وقد قُتِلَ فى غزوة « أُحُد » ، ثم تزوَّجها الرسول (ﷺ) بعده ، وكان ذلك فى السنة الرابعة من الهجرة ، وقد عاشت عنده فترة لم تتجاوز الأشهر الثلاثة ، ثم تُوفِّيَت فى حياته بالمدينة [(١)] ..

وكانت تُلَقَّبُ (رضي الله عنها) بـــ « **أُمِّ الْمَسَاكِينَ** » [(٢)] إذ كانت تعطف عليهم ، وتحبُّهم .. والراجح أنَّها ماتت فى الثلاثين من عمرها ، وكانت أوَّل من دُفِن بالبقيع من أمهات المؤمنين .. ولعل قصر إقامتها فى بيت رسول الله (ﷺ) كان أحد أسباب انصراف كُتَّاب السِّيرة والمؤرِّخين عن تناول سيرتـــها بكلام وافٍ ، فلم يصل عنها سوى بضع روايات لا تخلو من تناقض واختلاف ، ولم يجمعوا إلا على كَرَمِهَا ، فقد كانت تُطْعِم المساكين وتتصدَّق عليهم ..

وقد أغفلت جمهرة المصادر نَسَبَهَا لأُمِّها ، وإن كانوا لم يختلفوا فى نَسَبِهَا من أبيها ، وقد نُقِلَ عن النسابة « على بن عبد العزيز الجرجانى » قوله : **وكانت زينبُ بنتُ خُزَيْمَةَ أُخْت أم المؤمنين : مَيْمُونَة بنت الْحَارِث لأمِّها** [(٣)] ..



(١) الإصابة لابن حجر . (٢) الاستيعاب لابن عبد البر . (٣) الاستيعاب لابن عبد البر .

السَّيِّدَةُ جُوَيْرِيَةَ (رضى الله عنها)

هى « جُوَيْرِيَة » ابنَةُ « الْحَارِثِ بنِ أَبِى ضِرَارٍ » سيد بنى الْمُصْطَلِق وزعيمهم وقائد جيوشهم ، ولما هُزِم جيشهم فى غزوة « الْمُرَيْسِيع » ، وأُسِروا وسُبِيَت نساؤهم ، وقع سهم السيدة « جويرية » عند تقسيم الغنائم فى سهم « ثَابِتِ بن قَيْسِ بن الشَّمَّاس » ، وقد كبر عليها أن تقع أسيرة فى أيدى المسلمين وتصبح سَبْيًا يختارها مَنْ يشاء من الرجال وهى الحلوة الْمُلاحَة بنت سيد قومها ، فكاتبت مَنْ وقعت من نصيبه على نفسها حتى تصبح حُرَّة بعد أن تؤدِّى المال الذى تم الاتِّفاق عليه ، ودخلت على رسول الله (ﷺ) وقالت : **أنا بنْتُ سَيِّد قَوْمِه ، وقَدْ أَصَابَنِى مِنَ الْبَلاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، وقد كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَأَعِنِّى عَلَى كِتَابَتِي** .. وتقول السيدة « عائشة » : فنظر إليها رسول الله (ﷺ) ثم قال : (**أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟!**) .. قالت : **وَمَا هُوَ** ؟ .. قال : (**أُؤَدِّي عَنْك كِتَابَتَك وَأَتَزَوَّجُك**) .. فقالت : **نَعَمْ** ، وفرحت بذلك فتزوَّجها رسول الله (ﷺ) وضرب عليها الْحِجَابَ فخرج الْخَبَرُ إلى الناس ، فقالوا : **أَصْهَارُ رَسُولِ الله (ﷺ) فِى أَيْدِينَا** !!.. فأطلقوا ما بأيديهم من الأَسْرَى دون فدَاءٍ .. فكانت (رضي الله عنها) أعظم النساء خيرًا وبَرَكَةً على قومها [١] ..

---

[١] السيرة النبوية لابن اسحاق .

وجاء أبوها يسعى لِفِداءِ ابْنَتِه ، ولم يكن يعلم بما حدث فقد فَرَّ من المعركة حين رأى رياح الهزيمة تَهُبُّ على قومه ، جاء يسوق إبِلاً قد أخفى منها اثنين فى مكان ما ، ودخل على رسول الله (ﷺ) يَعْرِضُ عليه الإِبِلَ فِدَاءَ ابْنَته ، فقال له (ﷺ) : (**فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللّذَانِ غَيَّبْتَهُمَا بِالْعَقِيقِ ، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا ؟!**) .. فقال الرجل : **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنّك مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، فَوَاللهِ مَا اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ اللهُ** [1] .. فأسلم وأسلم معه قومه الذين أصبحوا أصهارًا لرسول الله (ﷺ) ..

ورَوَى كثير من الصحابة أحاديث كثيرة عن السيدة « جُوَيْرية » (رضي الله عنها) ، منها ما رواه « ابْنُ عَبَّاسٍ » (رضي الله عنهما) عَنْ « جُوَيْرِيَةَ » أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ ، فَقَالَ : (**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا ؟!**) .. قَالَتْ : **نَعَمْ** .. قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**)[2] ..

وقد تُوفِّيت (رضى الله عنها) بالمدينة المنوَّرَة سنة ست وخمسين من الهجرة على أرجح الأقوال ، وصلَّى عليها « مروان بن الحكم » ، ودُفِنَت بالبقيع بجوار أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن) ..

---

[1] سيرة ابن هشام .
[2] رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ (رضى الله عنها)

هى « صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىٍّ بْنِ أَخْطَب » .. كانت من نساءِ اليهود بِخَيْبَر ، وكانت بنت زعيمهم ، وزوجة لـــ « كنانة بن أبِى الْحُقَيْق » أحد شعرائهم .. واستيقظت يومًا من نومها فَرِحَةً مسرُورَة ، فقد رأت فى منامها أن قَمَرًا قد وَقَع فِى حَجْرِها ، فذهبت إلى أبيها تقُصُّ عليه الْخَبَرَ ، فضرب وجهها ضربةً أثَّرَت فيه ، وقال : **إِنَّكِ لَتَمُدِّينَ عُنُقَك إِلَى أَنْ تَكُونِى عِنْدَ مَلِكِ الْعَرَب** [1] .. يقصد بذلك النبى (ﷺ) ..

ودارت الأَيَّام وغزَا رسول الله (ﷺ) « خَيْبَر » وهزمهم ، وقُتِل أبوها وزوجها فى المعركة ، ووقعت هى أسيرة فى أيدى المسلمين .. فقال بعضهم للنَّبِىِّ (ﷺ) : **يا رسُولَ اللهِ ، إِنَّهَا سَيِّدَة قُرَيْظَة والنَّضير مَا تَصْلُحُ إِلاَّ لَكَ** .. فاصطفاها (ﷺ) لنَفْسه وأعتقها ، وجعل عِتْقَها صَدَاقَها ، وتزوَّجها لِتُصبِحَ من أُمَّهات المؤمنين [2]، وتتحقَّق رُؤْياها التى رَأَتْهَا قبل أن تُسْلِمَ .. وفى يوم من الأَيَّام دخل عليها النبى (ﷺ) فوجدها حزينة ، فسألها ، فقالت : بَلَغَنِي عن « حَفْصَة » و« عَائِشَة » أَنَّهُمَا قالتا : **نَحْنُ أَكْرَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) مِنْك ، نَحْنُ أَزْوَاجُهُ وبَنَاتُ عَمِّه** .. فقال (ﷺ) : (**أَلاَ قُلْتِ : وكَيْفَ تَكُونَانِ خَيْرًا مِنِّى وزَوْجِى : مُحَمَّدٌ ، وأَبِى : هَارُون** ،

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .
[2] أُسد الغابة لابن الأثير .

وعَمِّي : مُوسَى ؟!)[1] ..

ولما اعتكف رسول الله (ﷺ) مرَّة فى مسجده ذهبت إليه فى مُعْتَكَفِه ، وجلست تتحدَّثُ إليه ، وكانت قد وصلت متأخِّرة عن بقية نسائه حوالى ساعة ، فلما حان موعد الانصراف استبقاها رسول الله (ﷺ) ساعة معه حتى يعدل بينها وبين نسائه فى الوقت الذى قضاه معهن .. وحين جاء موعد انصرافها قام معها يبلِّغُها بيتها ، فَلَقيَه رَجُلاَن من الأنصار ، فلمَّا رَأَيَاهُ أسرعَا ، فَقَالَ النَّبيُّ (ﷺ) : (**عَلَى رِسْلِكُمَا ، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**) ، فَقَالاَ : **سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّه !!** .. قَالَ : (**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا**)[2] ..

فأصبح هذا من سُنَّة رسول الله (ﷺ) : **أَنَّ عَلَى المسلمِ أن يُبَرِّئ نَفْسَه إذا خَشِيَ أن يَحِيك فى صَدْرِ أخيه المسلم تُهْمَةٌ أو رِيبَةٌ ، وعَلَيْهِ أَنْ يسوق دليل براءته دون أن يُطْلَبَ مِنْهُ ، ولا يصِحُّ أن يَضَعَ نَفْسَهُ مَوْضِعَ الشُّبُهَات ، أو يُوقِعَ أخاه المسلم فى الْمَعْصِيَة بأن يَدعَهُ يَغْتَابُه ..**

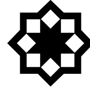
وقد تزوَّجها النبى (ﷺ) فى طريق عودته إلى المدينة فى قُبَّةٍ خاصَّة ضُرِبَتْ لها ، ولما أصبح الصبح خرج النبى (ﷺ) ففُوجِئَ بـــ « أبى أيُّوب الأنصارى » الذى بات متوشحًا سيفه يحرس النبي (ﷺ) ويُطِيف بالقبة ، فسأله : (**مَا لَكَ يا أَبَا أَيُّوب ؟!**) .. فأجاب : **يَا رَسُولَ اللهِ ، خِفْت عَلَيْك مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً قَدْ قَتَلْتَ**

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير . [2] رواه البخارى ومسلم .

أَبَاهَا وَزَوْجَهَا وَقَوْمَهَا ، وَكَانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، فَخِفْتُهَا عَلَيْك .. فدعا له النبى (ﷺ) قائلا : (**اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبَا أَيُّوبَ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِي**)[1] ..

ثم عاد الرسول (ﷺ) بِهَا إلى المدينة ، وأصبح لها حجرة من الْحُجُرات ، وقد تُوفِّيت (رضى الله عنها) سنة ست وثلاثين من الهجرة على أرجح الأقوال ، ودُفِنَت بالبقيع ..



(1) سيرة ابن هشام .

السَّيِّدَةُ رَمْلَة (رضى الله عنها)

هى « رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِى سُفْيَان صَخْرِ بن حَرْب » كانت من المسلمات الأوليات ، فقد أسلمت بمكة فى بدء الدعوة ، على رغم أَنَّ أباها « أبا سفيان » لم يَكُنْ مُسْلِمًا ، وكانت أمها عمَّة « عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) ، أما زوجُها فهو « عُبيد الله بن جحش » أخو السيدة « زَيْنَب بِنْت جَحْشٍ » أُمِّ المؤمنين وابن عمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ..

وقد هاجرت (رضي الله عنها) مع زوجها إلى الْحَبَشَةِ ، وولدت هناك ابنتها « حبيبة » التى كُنِيَت بِهَا ، وفوجئت بدخول زوجها فى دين النصرانية ، ولم تكن تتصوَّر أن يَتَنَصَّر زوجها بعد ما فازا بالأمن والأمان فى حِمَايَة « النَّجَاشِيِّ » مَلِك الْحبَشَة ، وقد كانا يُعَانِيَانِ من تعذيب قُرَيْشٍ ما كان يُعَانِيهِ الْمُسْلِمُونَ الأوائل فى مكَّة ، ومع ذلك صَمَدَا لكل أنواع التعذيب ، وصَبَرَا على العَنَتِ خاصة وهى بنتُ سَيِّدٍ من أسياد مكة ، وزَعيمٍ من رجالات قُرَيْش - كان ولا شك يُعَيَّر بإسلام ابنته - ولقد حاولت إقناع زوجها بالبقاء على إسلامه ولكن أَجَلَه حال دون وصولها إلى ما تريد ، وبقيت هى على إسلامها بالْحَبَشَةِ تجترُّ أحزَانَهَا على رَفِيقِ حياتِها وهجرتِها وكفاحها من أجل عقيدتـــها ، ذلك الذى مات غريبًا عن وطنه ودينِه ، ومضت بِهَا الأيام بطيئة كئيبة حتى فُوجِئَت بجارية من قِبَل « النَّجَاشِيِّ »

تقرع بابَها مُبَشِّرَة إيَّاها بسعادة الدنيا والآخرة ، فقد أرسل رسول الله (ﷺ) إلى « النجاشى » طالبًا منه أن يزوِّجه إيَّاها ، و لم تجد ما تعبِّر به عن قبولها ، ورضاها ، وفرحتها سوى أن تخلع ما كانت تتحلَّى به من أساور وخواتيم وتـــهديها للجارية قائلة لها : **بَشَّرَكِ اللَّهُ بِخَيْر** .. ووكَّلت « خالد بن سعيد بن العاص » (رضي الله عنه) فى تزويجها .. ودعا « النجاشى » المهاجرين إلى قصره ، وخطب فيهم قائلا : **إنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجه أُمَّ حَبِيبَة بِنْت أَبِى سُفْيَان ، فَأَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وقَدْ أَصْدَقْتُهَا أربعمائة دِينَار** .. ثم سَكَبَ الدنانير بين يدى القوم ، فقام « خالد بن سعيد » فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **أَمَّا بَعْد ، فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وزَوَّجْتُهُ أُمَّ حَبِيبَة بِنْت أَبِى سُفْيَان ، فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِه عَلَيْهِ السَّلَام** .. ودفع « النجاشى » الدنانير إلى « خالد » فقبضها ، ثم أراد المهاجرون أن ينصرفوا ، فقال لهم « النجاشى » : **اجْلِسُوا ، فَإِنَّ مِنْ سُنَّةِ الأَنْبِيَاء إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامٌ عَلَى التَّزْوِيج** .. ودعا بطعام فأكلوا ثم تفرَّقوا .. [1]

وقد هاجرت (رضى الله عنها) بعد الزواج إلى رسول الله (ﷺ) بالمدينة ، وأصبحت من أمهات المؤمنين ..

ولما نَقَضَت قريش عهدها الذى عاهدت عليه رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية بحرْبِهَا مع « خُزَاعَة » حلفاء النبى (ﷺ) جاء « أبو سفيان » إلى المدينة ليجدِّد

---

[1] الاستيعاب لابن عبد البر .

العهد مع رسول الله (ﷺ) ، ونزل على ابنته « أم حبيبة » (رضى الله عنها) فأحسنت استقباله ، وأكرمت وفادته ، وحين أراد أن يجلس على فراش رسول الله (ﷺ) نزعته السيدة « أم حبيبة » قبل أن يجلس عليه ، فَسَأَلَها : **يَا بُنَيَّةُ ، مَا أَدْرِي أَرَغِبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ ، أَمْ رَغِبْتِ بِهِ عَنِّي ؟!** .. قَالَتْ : **بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ ، وَلَمْ أُحِبّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ (ﷺ)** .. [1]

وهذا التصرُّف من أم المؤمنين (رضى الله عنها) يدُلُّ على مدى الْحُبِّ والولاء لرسول الله (ﷺ) وهو تنفيذ لوصيته (ﷺ) بألاَّ تُجْلِس الزوجات على فراش أزواجِهِنَّ أحدًا إلا بإذْنِ أزواجِهِنَّ .. كما أن المرأة بزواجها يصبح ولاؤها لزوجها أوَّلاً ، وطاعته مُقَدَّمة على طاعة الأب والأم ، ورضاه من رضا الرَّبِّ تبارك وتعالى .. وهذا لا يمنع من حُسْن التعامل والأدب مع ذوى الأرحام والأضياف .. فهى (رضى الله عنها) أحسَنَت استقبال أبيها ، وأكرمت وِفَادَته ، لكن ذلك شيء ، وجلوسه وهو مشرك على فراش سيد الخلق (ﷺ) شيء آخر .. ولقد كانت صادقة كل الصدق حين علَّلت تصرُّفها هذا لأبيها عندما سألها عنه ، لعل ذلك يكون سَبَبًا فى إشعاره بما هو عليه من ضلال وخطإ ، وطَمَعًا فى هدايته للإسلام ..

وقد روت (رضي الله عنها) أحاديث كثيرة عن رسول الله (ﷺ) ، منها قوله :

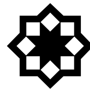
---

[1] سيرة ابن هشام .

(مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)[1] ..

وقد روت السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) أن « أم حبيبة » ، و« أم سَلَمَة » (رضى الله عنهما) ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير ، فذكرتا ذلك للنبى (ﷺ) فقال : **(إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[2] ..

وماتت (رضى الله عنها) سنة أربع وأربعين من الهجرة ، ودُفِنت بالبقيع إلى جوار مَنْ سبقنها من زوجات النبى (ﷺ) ..



---

[1] رواه الترمذى كتاب الصلاة .

[2] رواه البخارى كتاب الصلاة .

السَّيِّدَةُ مَيْمُونَةُ (رضى الله عنها)

هى « مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْن حَزَن الْهِلاليَّة » .. كان اسمها « بَرَّة » وسماها رسول الله (ﷺ) : « ميمونة » بعد زواجه بِهَا ، وكانت أُمُّها أعظم نساء العرب نَسَبًا وأصْهَارا : فقد تزوَّج « العباس بن عبد المطلب » من ابنتها « لُبَابَة الكبرى » ، وأنجب منها « عبد الله بن عباس » وإخوته ، وتزوَّج « جعفر بن أبى طالب » من ابنتها « أسماء » التى تزوَّجها بعد استشهاده « أبو بكر الصديق » ، ثم « على بن أبى طالب » ، وتزوَّج « حمزة بن عبد المطلب » من ابنتها « سُلمى » ، وتزوَّج « الوَلِيد ابن المغيرة » من ابنتها « لُبَابَة الصغرى » فأنجب منها « خالد بن الوليد » ..

وكانت « ميمونة » (رضى الله عنها) متزوِّجة بمكَّة ومات عنها زوجها ، وحين ذهب رسول الله (ﷺ) إلى مكَّة سنة سبع من الهجرة **لِعُمْرة القَضَاءِ** [1] ، أخبره « العباس بن عبد المطلب » أن « ميمونة » تأَيَّمت [2] ، فأرسل إليها « جعفر ابن أبى طالب » ليخطبها له ، فصادفها « جعفر » وهى على بعير لها فقال : **أَرْسَلَنِى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَذْكُرُه عَلَيْكِ** .. فقالت (رضى الله عنها) : **البَعيرُ ومَا عَلَيْه لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ)** .. وقد رُوِىَ أَنَّهَا هى التى وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِىِّ (ﷺ) ، فأنزل الله تعالى

(1) عمرة القضاء تُسمَّى أيضا : عُمْرَة القَضِيَّة أى : قضية صُلْح الْحُدَيْبِيَة والتى اتَّفق (ﷺ) عليها مع مشركى مكة فى صلح الحديبية – وكان من شروطها أن يمكث بمكَّة ثلاث ليال فقط لأداء العُمْرَة هو وأصحابه ثم يخرجوا منها .

(2) أى مات عنها زوجها .

قوله : (وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا)[1] .. [2]

وقد تزوَّجها رسول الله (ﷺ) بمكَّة ، وأراد أن يمكث فيها بعد انقضاء الأيام الثلاثة ، فقال لأهل مكَّة : (**دَعُونِى أَبْتَنِى بِأَهْلِى** [3] **وأَصْنَعُ لَكُمْ طَعَامًا**) ، فقالوا : **لا حاجَةَ لنا بطَعَامِكَ ، اخْرُجْ عَنَّا ، فاليوم آخِر شَرْطِك** .. فخرج (ﷺ) بِهَا حتى وصل إلى مكان يسمى : (**سَرِف**) قريب من مكَّة ، فنَزَل وصنع طعامًا لأصحابه ، ودخل عليها فى قُبَّة لها .. [4]

ومضت الأيَّام ، وانتقل رسول الله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ، وعاشت (رضى الله عنها) بعده حتى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وفى طريقها إلى مكَّة للحج طلبت أن تَنْزِل فى : (**سَرِف**) فى المكان نفسه الذى دخل عليها فيه رسول الله (ﷺ) ، فضُرِبَت لها قُبَّة فى الموضع نفسه الذى نزلت فيه قبل سِتَّة وأربعين عامًا .. تُرَى أكانت رَغْبَتُها تلك لاستعادة ذكرياتـــها مع أحبِّ الخلق إليها الذى كانت تُتوق إلى الزواج منه حتى إنَّها قالت لـــ « جعفر بن أبى طالب » حين خطبها له : البعير وما عليه لرسول الله (ﷺ) ؟!.. أم شعرت بحلول أَجَلِها فأرادت أن تنتهى حياتُها حيث بدأت ؟!.. فما كان لحياتِها قبل زواجها من رسول الله (ﷺ) – فى نظرها – طعم ولا معنى .. و لم تلبث (رضى الله عنها) إلا قليلاً حتى أسلمت الرُّوح إلى بارئها ، ولحقت برسول الله (ﷺ) ، ودُفِنَت – كما أوصت – فى موضع قبتها بِسَرِف ..

---

(1) سورة الأحزاب آية ٥٠ .
(2) عيون الأثر لابن سيد الناس ، وأُسد الغابة لابن الأثير .
(3) كناية عن الدخول .
(4) أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ مَارِيةُ (رضى الله عنها)

لما استقر أمر المسلمين بالمدينة المنوَّرة أرسل رسول الله (ﷺ) كُتُبًا إلى كل من « كِسْرَى » ملك الفُرْس ، و« هِرَقْل » ملك الرُّوم ، و« الْمُقَوْقَس » عظيم القبط بمصر يدعوهم إلى الإسلام ، وعبادة الله الواحد الأحد ..

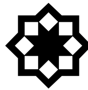
فأرسل « الْمُقَوْقَسُ » – وكان مقره بالإسكندرية – إلى النَّبِىِّ (ﷺ) هديَّة عبارة عن جارية هى : « مَارِية القبطية » ، وأخت لها تسمى « سِيرِين » وهو لفظ مُعَرَّب أصله الفارسى : « شيرين » أى الْحُلوة الْجَمِيلَة ، كما بعث معهما عبدًا يُدْعَى : « مأْبورًا » ، وبغلة شهباء سماها النبى (ﷺ) : « دُلْدُلا » ، وحُلَّة حَرِير ، فأهدى النبى (ﷺ) « سيرين » التى أسلمت لـــ « حسَّان بن ثابت » الذى سُرَّ بِهَا ورُزِق منها ولدًا ، وكذلك أسلمت « مارية القبطية » ، واتَّخَذَها الرسول (ﷺ) لِنَفْسِه فأصبحت مولاة للرسول وسُرِّية له [1] ، والسُّرِّية تختلف عن الأَمَة أو الجارية التى تكون للخِدْمَة العادية ، ولا يكون لها بيت ، أما السُّرِّية فيُتَّخذ لها بيت ، ويكون من حق سيِّدها أن يطأها فإن أنجبت منه حَرُمَ بيعها ، وقد رُزِق منها النبى (ﷺ) ولده « إِبْرَاهِيمَ » الذى مات صغيرًا ودُفِنَ بالبقيع ، وكُسِفَت الشمس يوم أن مات ، واعتقد الناس أن ذلك كان لموت « إبراهيم » ، فلما سمع النبى (ﷺ) بذلك

(1) الاستيعاب لابن عبد البر .

خَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَثَابَ [١] النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ [٢] ، فَانْجَلَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ : (**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، وَإِنَّهُمَا لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ، وَإِذَا كَانَ ذَاكَ ، فَصَلُّوا ، وَادْعُوا ، حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ**) .. [٣]

وقد أشاع المنافقون بالمدينة إشاعة مفادها أن « مأبورًا » العبد الذى جاء مع السيدة « مارية » من الإسكندرية يدخل عليها حجرتَها ، واتَّهمُوها (رضى الله عنها) به .. فاستدعى النبى (ﷺ) « على بن أبى طالب » ليتحرَّى الخبر ، فقال « على » : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكُونُ كَالسِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ** [٤] ، **أَمِ الشَّاهِدُ الَّذِى يَرَى مَا لاَ يَرَى الْغَائِبُ** ؟ .. فقَالَ (ﷺ) : (**بل الشَّاهِدُ يَرَى مَا لاَ يَرَى الْغَائِبُ**) .. فذهب « علىٌّ » إلى « مأبور » فوجده مَجْبُوبًا [٥] ، فعاد إلى النبى (ﷺ) وقال له : **إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ** [٦] .. وهكذا يكيد أعداء الإسلام للمسلمين ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..

وقد ماتت السيدة « مارية القِبْطِيَّة » فى خلافة « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) فى السنة السادسة عشرة من الهجرة فجمع الناس وصلَّى عليها .. ودُفِنَت بالبقيع ..



---

[١] ثاب : اجتمع . [٢] هما صلاة الخسوف . [٣] رواه البخارى كتاب الجمعة .
[٤] أى كحديدة المحراث إذا أُحْمِيَتْ فى النار .. كناية عن سرعة القَتْل .
[٥] أى مقطوع الذَّكَر . [٦] أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رضي الله عنها)

هى كُبْرى بنات الرسول (ﷺ) من السيدة « خديجة » (رضى الله عنها وأرضاها) .. وقد أنجبتها والنبى (ﷺ) فى الثلاثين من عمره ، وحين كَبِرت « زينب » زوَّجها النبى (ﷺ) من « أبى العاص بن الربيع » ابن السيدة « هالة بنت خويلد » أخت السيدة « خديجة » ، وكان ذلك قبل البعثة .. وحين بُعِثَ النبى (ﷺ) وجهر بدعوته أراد كفار مكة النكاية به ، فذهب ملأ من قريش إلى « أبى العاص بن الربيع » يطلبون منه طلاق « زينب بنت محمد » عَلَى أن يُزَوِّجوه بِمَنْ شاء من بنات قريش ، فَأَبَى ، وقال لهم : **والله ما أطَلِّقُها ، وما أفَارِقُها أبدًا مهما عرضتم علىَّ من بنات العَرَب** .. فقد كان شديد الحب لها كما كانت شديدة الحب له ، ولقد أسلمت (رضى الله عنها) فى بدء الإسلام ولكن زوجها بقى على شِرْكِه ..

ودارت الأيام وجاءت غزوة « بَدْر » ووقع « أبو العاص بن الربيع » أسيرًا فى أيدى المسلمين ، وحين تقرَّر فِدَاء الأسْرَى أرسل أهل مكة بالأموال لِفدَائهم ، وأرسلت الزوجة المسلمة الوَفِيَّة ما قدرت عليه لفداء زوجها الْمُشْرك ، وكان من بين ما أرسلته قِلادَة كانت أمها أهدتْهَا لها بمناسبة زواجها ، وحين وُضِعَت تلك الأموال أمام النبى (ﷺ) رأى تلك القلادة فحرَّكت أشجانه وَهَيَّجَت ذكراه ، ورقَّ لها رِقَّةً شديدة فهى قلادة السيدة « خديجة » (رضى الله عنها) ، ورأى الأصحاب ذلك فى وجهه (ﷺ) فقرَّروا إطلاق الأسير بغير فِدَاء .. وأعادوا إليه الأموال التى

أرسلتها زوجته ومن بينها تلك القلادة ، وانطلق الزوج الْمُشْرك عائدًا إلى مكة بعد أن وعد بالسماح لزوجته المسلمة بالهجرة إلى المدينة فور وصوله إلى مكة ، ونفَّذ الزوج وعده ، وخرجت الزوجة المسلمة مهاجرة إلى المدينة وكانت حاملاً ، فروَّعها أحد المشركين من أهل مكَّة برُمْحه فأسقطت جنينها ، ثم واصلت سيرها إلى المدينة ولحقت برسول الله (ﷺ) ..

ومضت الأيام وخرج الزوج إلى الشام فى تجارة لقُرَيش ، ووقعت القافلة فى أيدى المسلمين ، وفرَّ الزوج هاربًا .. وحين أرخى الليل سُدُوله تسلَّل إلى المدينة ، ولجأ إلى بيت زوجته مستجيرًا بِهَا ، فآوته حتى أصبح الصباح ، وخرج المسلمون لصلاة الفجر بالْمَسْجِد ، وتقدَّم النبى (ﷺ) إلى المحراب وكبَّر للصلاة ، فصرخت السيدة « زينب » (رضى الله عنها) من صفوف النساء قائلة : **أَيُّهَا النَّاسُ ، إنِّى قَدْ أَجَرْتُ أبا العَاصِ بن الرَّبيع** .. وبعد أن فرغ النبى (ﷺ) من صلاته التفت إلى الناس قائلاً : **أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلْ سَمِعْتُم مَا سَمِعْتُ ؟!** قالوا : **نَعَمْ** ، قال : **أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَده ، مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ .. إنَّهُ يُجيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ** .. وذهب إلى ابنته « زينب » وقال لها : **أَيْ بُنَيَّةُ ، أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ، وَلاَ يَخْلُصَنَّ إلَيْك ، فَإنَّك لاَ تَحِلِّينَ لَهُ** .. فقالت : **إنَّمَا جَاءَ يَطْلُبُ مَالَهُ** .. وعرض النبى (ﷺ) الأمر على أفراد السرية التى استولت على القافلة فقرَّرُوا رد الأموال إليه .. وعاد الزوج بأموال قريش إلى مكة ، وردَّها إلى أصحابِهَا ثم نادى فيهم : **هَلْ بَقِيَ لأَحَد مِنْكُمْ عِنْدي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ ؟** .. قالوا : **لا ، جَزَاك الله خيرًا ، فَقَدْ وَجَدْنَاك وَفِيًّا كَرِيمًا** .. فقال : **فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ**

اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .. وَاللهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الإِسْلاَمِ عِنْدَهُ إلاَّ تَخَوُّفُ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ آكُلَ أَمْوَالَكُمْ ، فَلَمَّا أَدَّاهَا اللهُ إِلَيْكُمْ ، وَفَرَغْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ [1] .. ثم انطلق مسرعًا إلى المدينة ، ودخل على رسول الله (ﷺ) جاهرًا بالشهادتين معلنًا إسلامه ، وبيعته ، وانضم إلى امرأته الوفية الصابرة ، والتأم شَمْلُ الأسرة من جديد فى ظل سماحة الإسلام ..

وقد تُوفِّيَتْ السيدة « زينب » (رضى الله عنها وأرضاها) فى حياة رسول الله (ﷺ) وكان ذلك فى السنة الثامنة من الهجرة ، ونزل النبى (ﷺ) فى قَبْرِها مهمُومًا حَزِينًا ، ولكن سُرِّى عنه حين خرج فقال : (**كُنْتُ ذَكَرْتُ زَيْنَبَ وضَعْفَهَا فَسَأَلْتُ اللهَ تبارك وتعالى أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهَا ضِيقَ الْقَبْرِ وغَمَّهُ فَفَعَلَ ، وهَوَّنَ عَلَيْهَا**)[2] .. وبقيت ابنتها « أُمَامَةُ » فى رعاية رسول الله (ﷺ) ، وكانت من أحبِّ أهله إليه ، وقد حملها فى صلاته بالناس يومًا ، وكان إذا ركع أو سجد وضعها ، فإذا قام حَمَلَهَا ..

وقد أوصت السيدة « فاطمة » (رضى الله عنها) زوجها « على بن أبى طالب » (رضي الله عنه) قبل موتِهَا أن يتزوج « أُمَامَةَ » ، فتزوَّجها ، وحين أُصِيب « على ابن أبى طالب » أوصى أن يتزوَّجها بعد موته « الْمغِيرَةُ بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب » ففعل ..

وقد ماتت (رضى الله عنها) و لم تترك ذُرِّيَّة ..

---

[1] سيرة ابن هشام .

[2] أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ (رضى الله عنها)

كان العرب يُزوِّجون بناتَهُم فى سن صغيرة ، وكان اهتمامهم بتكافؤ النَّسَب كبيرًا .. كما كان اعتزازهم بقبائلهم سَبَبًا فى قَصْرِ الزواج على أبناء وبنات القبيلة الواحدة .. ولقد زوَّج رسول الله (ﷺ) قبل البعثة ابنته « رُقَيَّة » من « عُتْبَةَ بن أبِى لَهَب » ، وزوَّج أختها « أم كلثوم » من شقيقه « عُتَيْبَةَ بن أبِى لهب » ، وتأجَّل دخول الزوجين على زوجتيهما حتى تكبرا وتصبحا أهلاً لذلك .. وحين بُعِثَ النبى (ﷺ) ، ودعا قومه للإسلام كان أشدهم معارضة له ، وتعذيبًا لِمَنْ أسلم : « أبو لَهَب » ، وامرأته « أم جميل بنت حرب » .. وحين نزل قول الله عز وجل : (تَبَّتۡ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ)[1] .. استدعى « أبو لهب » ابنيه « عتبة » و« عتيبة » ، وأمرهما بطلاق ابنتى رسول الله (ﷺ) ، فكان ذلك إكرامًا من الله تعالى لهما ، وهوانًا لابْنَىْ « أبى لهب » .. فتزوَّجت السيدة « رقية » من « عثمان بن عفان » ثم هاجر بِهَا إلى « الحبشة » فى الهجرة الأولى ، فقال عنه النبى (ﷺ) : (**إِنَّ عُثْمَانَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِه**[2] **بَعْدَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلام**)[3].. ثم هاجر « عثمان بن عفان » بزوجته « رُقيَّة » وابنه « عبد الله » – الذى رُزِقَا به فى الحبشة – إلى المدينة .. وقد عاش « عبد الله » حتى بلغ عمره ست سنوات ، ثم نَقَرَه دِيك فى عينه مما

[1] سورة المسد آية ١ . [2] يعني من هذه الأمة . [3] أُسد الغابة لابن الأثير .

تسبَّب فى وفاته ، وحزن النبى (ﷺ) عليه حزنًا شديدًا ، وانقطع النَّسَب من « رُقَيَّة » ، وفى السنة الثانية من الهجرة مرضت السيدة « رُقَيَّة » بالْحَصْبَة فأمر النبى (ﷺ) « عثمان » بأن يتخلَّف عن غزوة « بَدْر » لِيُمَرِّضَها [1] ، وحين عاد « زيد بن ثابت » مُبَشِّرًا بالنصر المبين فى غزوة « بَدْر » كانت السيدة « رقية » (رضى الله عنها) تُدْفَن بالبقيع ..

أىُّ مُصاب هذا ؟!.. وأىُّ بلاء ؟!.. إنه بلاء لا يَقْوَى عليه إلا الأنبياء .. أن يرى الإنسان أبناءه يموتون قَبْله واحدًا تلو الآخر فى طفولتهم ، أو فى أَوجِ شبابِهِم : فقد مات ابناه من السيدة « خديجة » (رضى الله عنها) بمكة قبل البعثة ، وهاهى ابنته تلحق بأخويها ، ويشاء الله أن يكون موت السيدة « رُقَيَّة » فى يوم النصر المبين ، يومٍ دخل السرور فيه جميعَ بيوت المدينة إلا بيت رسول الله (ﷺ) .. والأدهى من ذلك أن يموت ابنها قَبْلَها فلا تترك ذُرِّيَّة تُسَرِّى عن الأب الحزين هَمّ فقد ابنته الشابة .. سبحان الله !! كم تحمَّلْتَ يا سيدى يا رسول الله من أنواع البلاء ؟!.. صَدَقْت يا سيدى يا رسول الله إذ سُئِلْتَ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً ؟** .. فقلتَ : (**الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ .. يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلاَبَةٌ زِيدَ فِي بَلاَئِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ .. وَمَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**)[2] ..

---

[1] الاستيعاب لابن عبد البر .

[2] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ (رضى الله عنها)

دَخَل النبى يومًا على سيدنا « عُثْمَانَ بن عَفَّان » (رضي الله عنه) فرآه لَهْفَان [1] مَهْمُومًا ، فقال له : (**ما لي أرَاكَ لَهْفَان مَهْمُومًا ؟**) .. فقال : **يا رسول الله ، وهل دَخَل عَلَى أَحَدٍ مَا دَخَلَ عَلَيَّ : ماتت ابنة رَسُولِ الله التي كانت تَحْتِي ، وانْقَطَعَ ظَهْرِي ، وانْقَطَعَ الصِّهْر بَيْنِي وبَيْنَكَ** .. فبينما هو يحاوره ، إذ قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (**يا عُثْمَان ، هذا جِبْرِيل عليه السَّلام ، يأمرني عن الله عز وجل أن أُزَوِّجك أختها أم كُلْثُوم على مِثْلِ صَدَاقِهَا ، وعلى مِثْلِ عِشْرَتِها**) .. فزوَّجه إيَّاهَا [2] ..

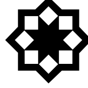
وكان ذلك فى السنة الثالثة من الهجرة فى شهر ربيع الأول ، ولم ترزق (رضي الله عنها) منه بأولاد ثم ماتت فى السنة التاسعة من الهجرة ، وغَسَّلَتْها « أم عطيَّة الأنصاريَّة » بأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولفَّت جسدها بثوب له ، ثم كفَّنَتْها ، وقد صلَّى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليها ودفنها فى البقيع إلى جوار شقيقتها « رُقَيَّة » (رضي الله عنهما) لتكتمل دائرة الأحزان بفَقْدِ البنات دُون أن يترُكْنَ ذُرِّيَّة ، لكى تتحقق إرادة الله عز وجل فى انحصار ذُرِّيَّة النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فى أبناء السيدة « فاطمة » (رضي الله عنها) صُغرى بناته ، والوحيدة التى عاشت بعده (صلى الله عليه وسلم) ..

---

[1] لهفان : متحسرًا مكروبًا .

[2] معرفة الصحابة لأبي نعيم .

ومن العجيب أنه (ﷺ) يُسَرِّى عن « عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) قائلاً : (**ألاَ أبو أَيِّمٍ** [1] ، **ألاَ أَخُو أَيِّمٍ ، ألاَ وَلِيُّ أَيِّمٍ يُزَوِّج عُثْمَانَ ، فإِنِّي قد زَوَّجْتُهُ اثنتين ، ولو كانت عندي ثالثة لَزَوَّجْتُهُ ، وما زَوَّجْتُهُ إلا بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاء**)[2] ..



---

(1) الأَيِّمُ من النساء : التي لا زَوْج لها ، بِكْراً كانت أَو ثَيِّبًا .

(2) رواه ابن عساكر .

السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رضى الله عنها)

كانت السيدة « فَاطِمَة » (رضي الله عنها) صُغْرَى بَنَات الرسول (ﷺ) ، وكان سِنُّها قبل البعثة حوالى سنتين أو ثلاث سنوات ، وقد نشأت فى الإسلام منذ طفولتها ، وكانت أحبَّ أهله إليه ، كما جاء عن السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) ، ولما هاجرت إلى المدينة خَطَبَها « أبو بَكْر » (رضي الله عنه) لنَفْسه فأَبَى عليه رسول الله (ﷺ) ، وخطبها « عُمَرُ » (رضي الله عنه) لِنَفْسِهِ ورفض رسول الله (ﷺ) ، ولما طلبها « عَلِيُّ بن أبي طالب » (رضي الله عنه) سأله رسول الله (ﷺ) : (**وهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تَسْتَحِلُّهَا بِهِ ؟**) .. قال : **لاَ واللهِ يَا رَسُولَ الله** .. فقال (ﷺ) : (**ما فَعَلْتُ بِالدِّرْعِ الَّتِى سلَّحْتُكَهَا ؟**) .. فأفاد بوجودها ، وكانت دِرْعًا حطميَّة تتحطم عليها السيوف من شِدَّتِها ، فكانت هى صَدَاقَ « فاطِمَة » (رضى الله عنها) [1] .. وفى إحدى الروايات أن « عَلِيًّا » (رضي الله عنه) أقبل على النبى (ﷺ) يومًا ، فتبسم (ﷺ) له وقال : (**يَا عَلِيُّ ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ ، وقَدْ زَوَّجْتُكَهَا عَلَى أَرْبَعِ مِئَة مِثْقَال فِضَّة ، إِنْ رَضِيتَ**) ، فقال « عَلِىّ » : **رَضِيتُ يَا رَسُولَ الله** .. ثم خَرَّ لله ساجدًا [2] ..

ثم قال النبي (ﷺ) لــ « عَلِىّ » (رضي الله عنه) ليلة بَنَى بـــ « فاطمة » (رضي الله

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .

[2] رواه ابن عساكر .

عنها) : (**لاَ تُحْدثْ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي**)[1].. ودعا (ﷺ) بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما وقال : (**اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا ، وبَارِكْ عَلَيْهِمَا ، وبَارِكْ لَهُمَا فِي نَسْلِهِمَا**)[2].. ثُمَّ أَمَرَهُ بالدُّخُولِ بعد ذلك .. وكان سِنُّها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ..

وقد قال الرسول (ﷺ) لفاطمة (رضي الله عنها) : (**إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، ويَرْضَى لِرِضَاكِ**)[3] ..

ولقد اتَّصَفَ كل من : « الحسن » ، و« الحسين » ، و« على » ، والسيدة « فاطمة » (رضي الله عنهم) بصفَتين لم تجتمعا لغيرهم أبدًا وهما : **أنّهم أهل الرِّدَاءِ ، وأهل الْمُبَاهَلَة ..**

أما أهل الْمُبَاهَلَة : فحينما نزل على النبى (ﷺ) قول الله عز وجل : (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ)[4] .. دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) « عَلِيًّا » ، و« فَاطِمَةَ » ، و« حَسَنًا » ، و« حُسَيْنًا » (رضي الله عنهم) فَقَالَ : (**اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي**)[5] .. وأما أهل الرِّدَاء : فقد رُوِىَ أنه نزل عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) وهو فِي بَيْتِ السيدة « أُمِّ سَلَمَةَ » (رضي الله عنها) قول الله عز وجل : (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

[1] أى أمرهُ بالامتناع عن الدخول عليها .

[2] الإصابة لابن حجر .

[3] الإصابة لابن حجر .

[4] سورة آل عمران آية ٦١ .

[5] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .

تَطْهِيرًا)[1] فدعَا « فَاطمَةَ » ، و« حَسَنًا » ، و« حُسَيْنًا » فَجَلَّلَهُمْ [2] بكسَاءٍ ، و« عَلِيٌّ » خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكسَاءٍ ، ثُمَّ قَالَ : (**اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**) .. قَالَتْ « أُمُّ سَلَمَةَ » : **وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟** .. قَالَ : (**أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ**)[3] ..

وذات يوم دخل النبي (ﷺ) على « فَاطِمَة » (رضي الله عنها) فَلَمْ يَجدْ « عَلِيًّا » فِي الْبَيْتِ ، فَقَالَ : (**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ ؟**)[4] .. فَقَالَتْ : **كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ ، فَغَاضَبَنِي ، فَخَرَجَ ، فَلَمْ يَقِلْ** [5] **عِنْدِي** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لإِنْسَانٍ : (**انْظُرْ أَيْنَ هُوَ**) .. فَجَاءَ ، فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ** .. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) و« عَلِيٌّ » مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَمْسَحُهُ عَنْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : (**قُمْ أَبَا تُرَابٍ .. قُمْ أَبَا تُرَابٍ**)[6] ..

ودَخَل عليها النبى (ﷺ) ذات مرة وكانت مُضطجعة إلى جوار « عَلِيٍّ » ، فَشَكَتْ إليه مَشَقَّة عمل البيت ، كانت تُديرُ الرَّحَى بيدَيْهَا فَتَشَقَّقَتا ، وسألته أَنْ يَهَبَهَا خَادمًا تساعدها ، فقال لها : (**أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا ، أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا ، فَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاثِينَ ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**)[7] ..

---

[1] سورة الأحزاب آية ٣٣ . [2] جللهم : غطاهم . [3] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .
[4] و لم يقل (ﷺ) : أين زوجك ؟ ليرقق قلبها ، ويذكرها بصلة الرحم ، والدم التى بينها وبينه .
[5] القيلولة : النوم فى منتصف النهار . [6] رواه البخارى كتاب الاستئذان .
[7] رواه البخارى كتاب النفقات .

وفى يوم من الأَيَّام خَطَبَ النبى (ﷺ) على المنبر وقال : (**إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب فَلاَ آذَنُ ، ثُمَّ لاَ آذَنُ ، ثُمَّ لاَ آذَنُ ، إِلاَّ أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، يُرِيبُنِي** [١] **مَا أَرَابَهَا ، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**)[٢] ولم يقبل النبى (ﷺ) أن يكون لــ « فاطمة » ضُرَّة ، وتلك خاصية لرسول الله (ﷺ) ، وهى ابنته التى أنجبت « الحسن » و« الحسين » ، ومنهما كانت ذُرِّيَّة النبى (ﷺ) إلى يوم الدِّين .. تلك الذرية التى هى عترة النبى ، وزينة أهل بيته ..

ويقول « عَلِيٌّ بن أبى طالب » (رضي الله عنه) : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَاب : يَا أَهْلَ الْجَمْعِ ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْت مُحمد ﷺ حَتَّى تَمُرَّ**)[٣] ..

وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : أَقْبَلَتْ « فَاطِمَةُ » تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**) ، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ عَنْ شِمَالِهِ - ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : **لِمَ تَبْكِينَ** ؟! ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ !! فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ ، فَقَالَتْ : **مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّه** (ﷺ) .. حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ : **أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي ، وَإِنَّك أَوَّلُ أَهْلِ**

---

[١] يريبنى : يسوؤنى ويزعجنى . [٢] رواه البخارى كتاب النكاح . [٣] رواه الحاكم فى المستدرك .

بَيْتِي لَحَاقًا بِي .. فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ : (**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؟!!**) **فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ ..** (١)

ويقول « أنس بن مالك » (رضي الله عنه) : لَمَّا ثَقُلَ (٢) النَّبِيُّ (ﷺ) جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ (٣) ، فَقَالَتْ « فَاطِمَةُ » (رضي الله عنها) : **وَا كَرْبَ أَبَاهُ** .. فَقَالَ لَهَا : (**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ**) .. فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ : **يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ .. يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ .. يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ** .. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ « فَاطِمَةُ » (رضي الله عنها) : **يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ** (ﷺ) **التُّرَابَ !!** (٤).. وما رُئِيَتْ بعد ذلك ضاحِكَةً أبدًا حتى ماتت (رضى الله عنها) ..

ومضت سِتَّةُ شهور من الْحُزْن الشديد والترقُّب ، مرضت مرضًا شديدًا حتى كان يوم فأصبحت طَيِّبَة النَّفْس نشيطة ، وطلبت من صاحبة لها أن تُعِدَّ لها غُسْلاً فاغْتَسَلَتْ ، ثم طَلَبَتْ ثِيابًا لها جديدة فَلَبِسَتْهَا ، ثم قَدَّمَت فِرَاشها وسط البيت فنامت عليه مُسْتَقْبِلَة الْقِبْلَة ، ثم قالت لصاحبتها : **إِنِّي مَقْبُوضَةٌ الآنَ ، وَقَدْ تَطَهَّرْتُ فَلا يَكْشِفُنِي أَحَدٌ** (٥) .. فَقُبِضَتْ مَكَانَهَا .. وماتت (رضى الله عنها) وهى بنت تسعة وعشرين عامًا ، ودُفِنَت ليلاً - كوصيتها - فى « بقيع الغَرْقَد » وكانت أول امرأة يُغَطَّى نَعْشُها فِى الإسلام ، وذلك بِنَاءً على طَلَبها (٦) .. ولم يتزوَّج عليها زوجها فى حياتِهَا قط خَوْفًا من غضب أبيها الذى انقطع نَسْلُهُ إلاَّ منها ..

---

(١) رواه البخارى كتاب المناقب . (٢) ثقل : ضعف لشدة مرضه . (٣) أى جعل يتغشاه الكرب .
(٤) رواه البخارى كتاب المغازى . (٥) رواه أحمد مسند القبائل . (٦) أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ أَسْمَاء (رضى الله عنها)

هى الابنة الكُبْرَى لــ « أَبِى بَكْرٍ الصديق » (رضي الله عنه) ، وشقيقة لــ « عَبدِ الله ابنِ أَبِى بَكْرٍ » ، ولكنها ليست شقيقة للسَّيِّدَةِ « عَائِشَة » ، فأمها تسمى : « قتيلة » ، وأمُّ « عائشة » هى : « أمُّ رومان » .. وهى قديمة فى الإسلام لم يسبقها فى ذلك إلا سبعة عشر إنسانًا ، وحين أراد النَّبِىُّ (صلى الله عليه وسلم) الهجرة جَهَّزَت له ولــ « أبى بكر » السُّفْرَة والسِّقاء ، ولم تجد ما تربطهما به غير نطاقها فشقَّته نِصْفَينِ لكُلٍّ منهما النصف ، ومن هنا لُقِّبَتْ بــ « ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ »[1] ..

وقد هاجرت السيدة « أسماء » مع زوجها « الزُّبَيْر بن العَوَّام » ابن « صَفِيَّة بنت عَبْدِ الْمُطَّلب » عمَّة النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وكانت حاملاً بــ « عَبْدِ الله بن الزُّبَيْر » فكان أوَّل مَوْلُودٍ فى الإسلام ، إذ وُلِدَ فى « قُبَاءَ » وَحنَّكَهُ[2] رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) ، فكان أوَّل ما دخل جوفه لُعَابُ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) ..

وحين جاءت خِلاَفة « يَزِيد بن مُعَاوية » رفض « عَبْدُ الله بن الزُّبَيْر » أن يُبَايِعَه ، وبُويعَ له هو بالخِلاَفة ، وقد أرسل « يَزِيدُ بنُ مُعَاوِية » جيشًا لمحاربته ، وكانت أمه تعيش معه ، وكان ذلك فى السنة الثالثة والسبعين من الهجرة .. ولما دخل عليها ابنها « عبد الله بن الزُّبَيْرِ » وهى عليلة فقال : **يَا أُمَّه ، إنَّ فِى الْمَوْتِ**

---

[1] الاستيعاب لابن عبد البر .

[2] حَنَّكَهُ : مضغ تمرة ودَلَّك بعصيرها فمه من الداخل .

لَرَاحَة .. قالت له : **يا بُنَيَّ ، لَعَلَّكَ تَتَمَنَّى مَوْتِي ! فوالله ما أُحِبُّ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى تَأْتِي على أَحَدِ طَرَفَيْكَ : فإِمَّا أَنْ تَظْفَرَ بِعَدُوِّكَ فَتَقَرَّ عَيْنِي ، وإِمَّا أَنْ تُقْتَلَ فَأَحْتَسِبَكَ** .. فالتفت إلى أخيه « عُرْوَة » وضحك .. فلما كان فى الليلة التى قُتِل فى صبيحتها دخل عليها فى السَّحَر فشاورها ، فقالت له وهى تعظه : **يَا بُنَيَّ ، لا تَقْبَلَنَّ مِنْهُمْ خُطَّةً تَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِكَ الذُّلَّ مَخَافَةَ الْقَتْل ، فوالله لَضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ فِي ذُلٍّ** .. قال : **إِنَّمَا أَخَافُ أَنْ يُمَثِّلُوا بِي** .. قالت : **يَا بُنَيَّ إِنَّ الشَّاةَ لاَ تَأْلَمُ السَّلْخَ بَعْدَ الذَّبْح** [1] ..

وخرج الابن للقتال من أجل حقٍّ قد ارتآه ، وقد اطمأن إلى أن أُمَّه التى بلغت من العمر مائة من السنين ، وذهب بصرها ، ووَهَن عظمها ، سوف تصبر على ما يصيبه .. وحدث ما توقَّعه ، فقد قُتِلَ ثم صُلِبَ على خَشَبَة حتى يراه الناس .. فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْه وَالنَّاسُ ، حَتَّى مَرَّ عَلَيْه « عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ » فَوَقَفَ عَلَيْه فَقَالَ : (**السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْب .. السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْب .. السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْب .. أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا** [2] .. **أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا .. أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا .. أَمَا وَاللَّه إِنْ كُنْتَ – مَا عَلِمْتُ – صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولاً لِلرَّحِمِ .. أَمَا وَاللَّه لأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا : لأُمَّةٌ خَيْرٌ**) .. ثُمَّ نَفَذَ [3] « عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ » فَبَلَغَ « الْحَجَّاجَ بن

---

(1) أُسد الغابة لابن الأثير ، ونثر الدر للآبي .

(2) أى عن المنازعة الطويلة .

(3) نفذ : انصرف .

يُوسُف الثَّقَفِيّ » مَوْقفُ عَبْد اللَّه وَقَوْلُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْه [1] ، فَأُنْزِلَ عَنْ جذْعِه ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُود ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّه « أَسْمَاءَ بنْت أَبِي بَكْرٍ » فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ .. فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ : **لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْك مَنْ يَسْحَبُك بِقُرُونك** [2] .. فَأَبَتْ وَقَالَتْ : **وَاللَّه لاَ آتيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي** .. فَقَالَ : **أَرُونِي سِبْتَيَّ** [3] .. فَأَخَذَ نَعْلَيْه ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ [4] حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ : **كَيْفَ رَأَيْتِني صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّه** .. قَالَتْ : **رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْه دُنْيَاهُ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخرَتَكَ .. بَلَغَني أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ يَا ابْنَ ذَات النِّطَاقَيْنِ !! أَنَا وَاللَّه ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ .. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِه طَعَامَ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ منَ الدَّوَابِّ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَنطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ .. أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) حَدَّثَنَا أَنَّ فِي « ثَقِيف » كَذَّابًا ، وَمُبِيرًا** [5] .. **فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ** [6] ، **وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلاَ إِخَالُكَ** [7] **إِلاَّ إِيَّاهُ** .. فَقَامَ عَنْهَا ، وَلَمْ يُرَاجِعْهَا .. [8]

وتعود الذكريات إلى زوجها الذى قُتِلَ غَدْرًا منذ سنوات .. ذلك الزوج الذى بَشَّرَه رسول الله (ﷺ) بِجوَارِه فى الْجَنَّة ، ولقَّبه بلَقَبٍ لم يُلَقَّبْ به سِوَاهُ ، فقال : (**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ**) [9].. وكيف لا وقد كان له سيفٌ طَالَمَا كشف الكُرَبَ عن رسول الله (ﷺ) ..

---

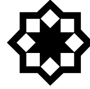
[1] أى إلى جثمان عبد الله . [2] أي يجرك بضفائر شعرك . [3] أي نعلي .

[4] يتوذف : يسرع ، وقيل معناه : يتبختر . [5] مبير : مهلك .

[6] تعني المختار بن أبي عبيد الثقفي . [7] فبفتح الهمزة وكسرها ، بمعنى أظنك .

[8] رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة . [9] رواه البخارى كتاب المناقب .

وتموت التَّقِيَّة النَّقِيَّة بعد صلْب ابنها بعِشْرين يومًا ، وتموت قَرِيرَة العَيْن بإسلامها ، وصَبْرِها ، وأنَّها كانت أوَّل امرأة تَعْلَمُ بِهِجْرَة رسول الله (ﷺ) إلى المدينة ، ومع ذلك حَفظَت السِّرَّ على رغم محاولات صناديد قريش أن يستخرجوه منها ، حتى وصل الرَّكْبُ الْمُبَارَكُ فى أمان الله إلى المدينة المنوَّرَة ..



السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ (رضى الله عنها)

هى بنت « عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِب » (رضي الله عنه) .. وأُمُّها : « فَاطِمَةُ » سَيِّدَة نِسَاء العَالَمِينَ .. وَجَدَّتها : « خَدِيجَة » سيدة نساء العالَمين .. وَجَدُّها : رسول الله (ﷺ) سَيِّد الأَوَّلِين وسَيِّد الآخِرين .. وهى أخت « الْحَسَن » و« الْحُسَيْن » (رضي الله عنهما) ..

خَطَبَها « عُمَرُ بْنُ الخطَّاب » لِنَفْسِهِ من أبيها فاعتْذَر وتعلَّل بِصِغَرِ سِنِّهَا ، فأَلَحَّ « عُمَرُ » إلْحَاحًا شَدِيدًا وقال : **زَوِّجْنِيهَا ، فَإِنِّى أَرْصُدُ مِنْ كَرَامَتها مَا لاَ يرْصُدُهُ أَحَدٌ** .. فقال الأب : **أَنَا أَبْعَثُها إِلَيْكَ ، فَإِنْ رَضِيتَهَا فَقَدْ زَوَّجْتُكَها** .. وعاد الأب إلى بيته ، واستدعى ابنته ، وأعطاها بُرْدًا ، وقال لها : **اذْهَبِي بِهَذَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وقُولِى لَهُ : أَرْسَلَنِي أَبِى يُقْرِئُكَ السَّلامَ ويَقُولُ : إِنْ رَضِيتَ الْبُرْدَ فَأَمْسِكْهُ ، وإِنْ سَخطتهُ فَرُدَّهُ** .. فذَهَبَتْ إلى « عُمَرَ » وقالت له ذلك ، فقال : **قُولِى له : لَقَدْ رَضِيتُ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ** .. ووَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ، فقالت : **أَتَفْعَلُ هَذَا ؟!! لَوْلاَ أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَكَسَرْتُ أَنْفَكَ** .. ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت : **بَعَثْتَنِي إِلَى شَيْخِ سُوءٍ** .. فقال الأب : **يَا بُنَيَّتِي ، إِنَّهُ زَوْجُك** .. وجاء « عُمَرُ » فجلس إلى المهاجرين فى الرَّوْضَة الشريفة وقال : **رَفِّئُونِي** [1] .. فقالوا :

---

[1] رفئونى : هنئوني .

بمَاذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟.. قال : **تَزَوَّجْتُ فُلاَنَة ، لَقَدَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** (ﷺ) **يَقُول : (كُلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ وصِهْرٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي ونَسَبِي وصِهْرِي) .. وكان لى به عليه الصلاة والسلام النَّسَبُ والسَّبَبُ** [1] ، **فأردْتُ أن أجمع إليه الصِّهْرَ** [2] .. فهلّل المهاجرون ورفّئوه .. [3]

ولقد ولدت لأمير المؤمنين ولدًا وبنتًا .. وبعد ما قتل « عُمَرُ بن الخطاب » (رضي الله عنه) تزوَّجت الْحَسِيبَة النَّسِيبة من « عَوْن بن جَعْفَر بن أبى طالب » .. ثُمَّ ماتت بعد ذلك هى وابنها من « عمر بن الخطاب » فى يوم واحد [4] ، رضى الله عنها وأرضاها ..

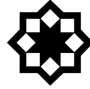
ويتبيَّن لنا من هذه القصة حرص الصحابة (رضوان الله عليهم) على اختيار الزوجات عملاً بقول رسول الله (ﷺ) : (**تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ**)[5] .. وقوله (ﷺ) : (**تَزَوَّجُوا فِي الْحُجْزِ** [6] **الصَّالِحِ فَإِنَّ العِرْق دَسَّاس**)[7].. وقوله : (**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا .. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**)[8] ..

فعلى الشاب الذى يريد الزواج أن يكون بحثه واختياره عن أُمٍّ لأولاده الذين

---

[1] النسب : زواج النبى (ﷺ) من حفصة بنت عمر ، والسبب : الإسلام .
[2] أى التزوج من ذريته .
[3] أُسد الغابة لابن الأثير ، ورواه ابن سعد بنحوه .
[4] أُسد الغابة لابن الأثير .
[5] رواه ابن ماجه كتاب النكاح .
[6] الحجز : بالضم والكسر : أى الأَصل والْمَنْبت .
[7] أخرجه ابن عدي عن أنس .
[8] متفق عليه ، واللفظ لمسلم كتاب الرضاع .

سوف يُرْزَقُ بِهِم ، ولا يكون جُلُّ هَمِّه البحث عن الجمال أو المال .. وليعلم أن البيئة التى نشأت فيها الفتاة لها التأثير الأقوى ، فيحرص على تَحرِّى البيوت الكريمة التى لا سلطان فيها إلا للأب الصالح ، والتى تكون فيها الأم طائعة لزوجها ، مُتَفَرِّغَة لشئون بيتها ، ورعاية أولادها .. فالبنت مرآة أُمِّها ..



السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ (رضى الله عنها)

هى بنت « عبد الْمُطَّلِب » ، وعَمَّة النَّبِيِّ (ﷺ) الوحيدة التى أسلمت قديمًا بمكة فى بدء الإسلام ، وكانت متزوِّجة فى الجاهلية ثُمَّ طُلِّقَت ، وتزوَّجت من « العَوَّام بن خُوَيْلِد » وهو أخو السيدة « خَدِيجة » (رضي الله عنها) ، وأَنْجَبَتْ منه « الزُّبَيْرَ بن العَوَّام » ..

وهى شقيقة سيدنا « حَمْزَة » (رضي الله عنه) الذى كان أشجع الناس فى قتال المشركين بـــ « بَدْر » ، ولما قُتِل فى غزوة « أُحُد » ذهب النبى (ﷺ) بعد انتهاء المعركة يتفقَّد القَتْلَى ، وحَزِن للغاية عندما رأى ما فعله المشركون بِجُثَّته .. وحين أرادت السيدة « صفية » أن تنظر إلى أخيها ، قال رسول الله (ﷺ) لابنها « الزبير » : (**الْقَهَا فَأَرْجِعْهَا ، لاَ تَرَى مَا بِأَخِيهَا**) .. فلقيها « الزبير » وقال : **يا أُمَّه ، إنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَأْمُرُكِ أَنْ تَرْجِعي** .. قالت : **ولِمَ ؟! لَقَدْ بَلَغَني أنَّهُ مُثِّلَ بِأَخِي ، وذَاكَ فِي اللهِ ، فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ، لأَصْبِرَنَّ ، ولأَحْتَسِبَنَّ إنْ شَاءَ اللهُ** .. فلما أخبر « الزُّبير » رسول الله (ﷺ) بقول السيدة « صفية » سمح لها برؤية أخيها « حمزة » فذهبت ، ونظرت إليه وقالت : **إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون** ، ودعَتْ له ، وانْصَرَفَتْ صابرةً راضيةً بقضاءِ الله [1] ..

(1) سيرة ابن هشام .

وكان ابنها « الزبير بن العوام » صاحب أشهر سيف فى الإسلام ، السيف الذى طالما فرَّج به الكُرَب عن رسول الله (ﷺ) ، وشهدت ساحات المعارك صولاته وجولاته .. وقد قُتِل (رضي الله عنه) غَدْرًا وهو قائم يصلى فى بعض الطريق ، وقتله « ابْنُ جُرْمُوز » الذى قال عنه « على بن أبى طالب » (رضي الله عنه) : **بَشِّرُوا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ** [1] ..

وفى غزوة « الخندق » كانت السيدة « صَفِيَّة » (رضي الله عنها) فى حِصْن ومعها بعض النساء ، فرأت يهودِيًّا من بنى قُرَيْظَة يطوف بالحِصْن ، فطلبت من « حسَّان بن ثابت » – وقد كان معها – أن يقْتُلَهُ مخافة أن يُطْلِع اليهود على مكانِهم ، فقال لها : **يَغْفِرُ اللهُ لَكِ يَا ابْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا !** [2] .. فلما تأكدت أنه غير فاعل حزمت وسطها ، وأخذت عمودًا ضربت به اليهودىَّ حتى قتلته فكانت بذلك أوَّل امرأة قتلت رَجُلاً من اليهود ، ولما عادت قالت لـــ « حسَّان » : **يَا حَسَّانُ انْزِلْ إِلَيْهِ فخذ سَلَبَه** [3] ، **فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلَبِهِ إلاَّ أَنَّهُ رَجُلٌ** .. فقَالَ : **مَا لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حَاجَةٍ** .. [4]

وقد تُوفِّيت السيدة « صفية » (رضي الله عنها) وعمرها ثلاثة وسبعون عامًا ، وكان ذلك فى نحو العام العشرين من الهجرة ، ودُفِنَتْ بالبقيع ..

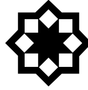
ويقول أبو هُرَيْرَة (رضي الله عنه) : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (**وَأَنْذِرْ**

---

[1] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .
[2] قيل : إنه كان مريضًا .
[3] سلبه : يقصد به سلاحه ومتاعه .
[4] سيرة ابن هشام .

عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[1] قَالَ : (**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**)[2] ..

وصدق رسول الله (ﷺ) فإنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نَسَبٌ .. هو ربُّهم .. وهم عباده .. يتفاضلون بالعافية .. ويدركون ما عند الله بالطاعة ..



---

[1] سورة الشعراء آية ٢١٤ .

[2] رواه البخارى كتاب الوصايا .

السَّيِّدَةُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّة (رضى الله عنها)

هى أُمُّ النبى (ﷺ) بالرضاعة ، وتحكى قصة إرضاعها للنَّبِىِّ (ﷺ) فتقول : خَرَجْتُ مِنْ بَلَدِي مَعَ زَوْجِي ، وَابْنٍ لِي صَغِيرٍ أُرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، نَلْتَمِسُ الرّضَعَاءَ ، وَذَلِك فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ [1] لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا ، وكُنْتُ عَلَى أَتَان [2] قَمْرَاء [3] وشَارِف [4] .. وكانت الأتان ضعيفة عجْفَاء تؤخِّر القافلة دائمًا ، وطفلى لا يكُفُّ عن البكاء فليس فى ثديي لبن يُغَذِّيه ، ولا فى الناقة لَبَنٌ يُغْنِيه ، حتى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرّضَعَاءَ فَمَا منا امْرَأَةٌ إلاَّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله (ﷺ) فَتَأْبَاهُ إذا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ ، وَذَلِك أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ فَكُنَّا نَقُولُ : **يَتِيمٌ ، وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ !!** فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لذلك ، فما بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إلاَّ أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي ، فلما أَجْمَعْنَا الانْطلاق قُلْتُ لِصَاحِبِي : **والله إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا ، والله لأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلآخُذَنَّهُ** .. فقال : **لا عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِي ، عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً** .. فأخذته ، وبمجرد أن وصلت إلى مكان القافلة فاض اللبنُ من ثَدْيِي ، فرضع النَّبِىُّ (ﷺ) حتى رَوِىَ – وكان لا يرضع إلا من ثدي واحد ، ويرضع ابني من الثدي الآخر – وإذا بالناقة وقد امتلأ ضَرْعُها باللبن ، وإذا بالأَتَانِ

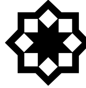
---

[1] شديدة القحط . [2] أنثى الحمار . [3] بيضاء . [4] ناقة مُسِنَّة .

تسرع حتى إنّ صويحباتى اعتقدْنَ أنَّها ليست الأتان التى جئت بِهَا .. وعُدْنَا إِلَى دِيَارِنَا ومَا رَأَيْتُ أرضًا أجدبَ من أرضنا ، وإذا بالغَنَمِ تَخْرُجُ وتَسْرَحُ وتعودُ وقد امْتلأَت أضراعُها باللَّبَنِ ، وأصبَحَ الناسُ يقولونَ لرُعْيَانِهِمْ : **وَيْلَكُمْ ، اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْت أَبِي ذُؤَيْبٍ !!** .. فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبْنًا .. ولما بلغ عمره (ﷺ) عامين كان يشتد عُودُه أكثر من عمره ففطَمْتُه وعُدت به للسيدة « آمِنَة » ، ولكنى كنت أشدّ تعلُّقًا به لما رأيته من خير على يديه وتمَّنيت لو أنى رجعت به ، وبالفعل أخذت أرجو السِّيدة آمنة حتى قَبِلَتْ وعدت به بعد جَدَلٍ شديد ، وأبقيته معي إلى أن كان عمره خمس سنوات وشهرًا ثم حدث أن كان مع ابني – الذى هو أخوه من الرضاعة – فى الغنم يومًا فعاد ابني مُسْرِعًا وقال : **أَدْرِكُوا أخى القرَشِيَّ** .. فسألته عمَّا به ، فقال : **جاء رَجُلاَن فأضْجَعَاه فشقَّا صَدْرَه وأَخْرَجَا قَلْبَهُ** .. فخفت وذهبت إليه مُسْرعة ومعى زوجى فوجدناه مُمْتَقِعًا ، فَسَألناه : **ما الْخَبَرُ ؟!**.. فَأَكَّدَ لنا ما قاله ابنى وأضاف : **أَنَّهُمَا أَخْرَجَا مِنْ صَدْرِه شَيْئًا فَطَرَحَاهُ ، ثُمَّ غَسَلاَ صَدْرَهُ وقَلْبَهُ بِثَلْجٍ فِى طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، ثُمَّ أَعَادَا قَلْبَهُ إِلَى مَكَانه** .. فخشينا عليه من الشيطان ، فأردنا أن نُعيدَه لأُمِّهِ وهو سَلِيمٌ ، فأسرعنا به إلى أُمِّه مما أثار دهشتها ، فقد كنا حريصين على استبقائه معنا من قبل ، فلما أَلَحَّت علينا لمعرفة ما حدث صَدَقْنَاها القول فأجابتنا قائلة : **والله مَا للشَّيْطَان عَلَيْه مِنْ سَبِيلٍ ، وَإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأْنًا ، أَفَلاَ أُخبِرُك خَبَرَهُ ؟** قُلْتُ : **بَلَى** .. قَالَتْ : **رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ**

بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ وَلاَ أَيْسَرَ مِنْهُ ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالأَرْضِ رَافِعٌ رَأَسَهُ إِلَى السَّمَاءِ .. دَعِيهِ عَنْكِ ، وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً .. [1]

وقد أَسْلَمَت السيدة « حَلِيمَة السَّعْدِيَّة » ، ولحقت بالرسول (ﷺ) إلى المدينة ، وحين دخلت عليه بسط لها رداءه ، وأجلسها عليه .. وعاشت (رضى الله عنها) فى كنفه ، وماتت بالمدينة المنورة ، ودُفِنَت بالبقيع ..



[1] ذكره ابن هشام فى سيرته بنحوه .

السَّيِّدَةُ أُمُّ أَيْمَنَ (رضى الله عنها)

هى « أُمُّ أَيْمَن » (بَرَكَةُ الْحَبَشِيَّة) التى كان رسول الله (ﷺ) يقول عنها : (**أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّى بَعْدَ أُمِّى**)[1] .. نَعَم !!.. فقد كانت حاضِنَته بعد موت أُمِّهِ وحين كَبرَ أَعْتَقَهَا ، وقد أَسْلَمَت قديمًا وهاجرت إلى الحبشة ، ثم هاجرت إلى المدينة المنوَّرة ، وزوَّجها رسول الله (ﷺ) من مولاه « زَيْدِ بن حَارِثة » وهو من أَحَبِّ الناس إليه ، فولدت له ولدًا وكان هو « أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ » وكان قُرَّة عَيْنٍ للنبى (ﷺ) ومن أقرب الْمُقَرَّبين إليه ، وقد وَلاَّه قيادة الجيش وهو ابن ثمانيَ عشْرَة سنة ، فاعترض بعض الناس على ذلك ، فخطبهم (ﷺ) وقال : (**إنْ تَطْعَنُوا فِي إمَارَتِه فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِه ، وَأَيْمُ اللَّهِ إنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا ، وَأَيْمُ اللَّهِ إنْ كَانَ لأَحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ ، وَأَيْمُ اللَّهِ إنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ** [2] ، **وَأَيْمُ اللَّهِ إنْ كَانَ لأَحَبَّهُمْ إلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ ، فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ**)[3] ..

وتقول (رضي الله عنها) : كان للنبي (ﷺ) فخارة يَبُول فيها بالليل ، فكنت إذا أصبحت صببتها ، فنمت ليلة وأنا عطشانة فغلطت فشربتها ، فذكرت ذلك للنبي (ﷺ) فقال : (**لَقَدِ احْتَظَرْتِ** [4] **مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ .. إِنَّكِ**

---

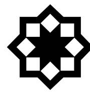
[1] الإصابة لابن حجر .   [2] يريد أسامةَ بن زيد .   [3] رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة .

[4] احتظرت : احتميت وامتنعت .

لا تَشْتَكِينَ بَطْنَكِ بَعْدَ هَذَا)[1] ..

ولما خرجت (رضي الله عنها) مهاجرة إلى الله وإلى رسوله (ﷺ) من مكة إلى المدينة خرجت وهي صائمة ليس معها زاد ولا حمولة ولا سقاء في يوم شديد الحر ، وقد كادت تموت من الجوع والعطش ، حتي إذا كان الحين الذي فيه يفطر الصائم سمعت حفيفًا علي رأسها ، فرفعت رأسها فإذا دلو معلَّق برشاء أبيض ، تقول (رضي الله عنها) : فأخذتُه بيدي فشربت منه حتى رويتُ ، فما أصابني بعد ذلك عطش ، ولقد كنتُ بعد ذلك أصوم في اليوم الحار ثم أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعد ..[2]

وحين انتقل النبى (ﷺ) إلى الرَّفَيق الأعلى بكت بُكَاءً شديدًا فقيل لها : **مَا يُبْكِيكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ؟** فَقَالَتْ : **إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) سَيَمُوتُ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي رُفِعَ عَنَّا**[3] .. وكان « أبو بكر » و« عمر » (رضي الله عنهما) يزورانـــها فى بيتها حتى ماتت (رضى الله عنها) بعد ما قُبِضَ رسول الله (ﷺ) بخمسة أشهر ، ودُفِنَت بالبقيع ..



---

(1) أُسد الغابة لابن الأثير .

(2) رواه عبد الرزاق وأبو نعيم ، وذكره ابن حجر في الإصابة .

(3) رواه أحمد باقي مسند المكثرين .

السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ (رضى الله عنها)

كانت من الأوائل فى الإسلام ، وقد هاجرت مع زوجها « جَعْفَر بن أَبِى طالب » إلى الْحَبَشَةِ فى الهجرة الأولى ، وكان زعيمًا للمهاجرين وخطيبًا بين يدى « النجاشيّ » ، وكان كلامه ومنطقه سببًا فى تأمين « النجاشيّ » للمسلمين فى دياره ، وإكرامه لهم .. بل كان سببًا فى إسلام « النجاشيّ » نفسه .. وقد أَنْجَبَتْ مِنْهُ : « عَبْدَ الله بن جعفر » ، و« عَوْنًا » ، و« محمد بن جعفر » ، ثم هاجرت مع زوجها إلى المدينة عام فتح « خَيْبَر » .. وكانت الْعَيْنُ تسرع إلى أولادهما ، ولما رآهم النبى (ﷺ) سألها : (**مَا شَأْنُ أَجْسَامِ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً** [1] **؟ أَتُصِيبُهُمْ حَاجَةٌ ؟**) .. **قالت : لا ، وَلَكِنْ تُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْعَيْنُ ، أَفَنَرْقِيهِمْ ؟**.. قال : (**نَعَمْ**) [2] .. وعلَّمَهم الرُّقْيَة ..

ولما قُتِل سيدنا « جَعْفَرٌ » فى غزوة « مُؤْتَة » نزل سيدنا « جبريل » (عليه السلام) يخبر النبى (ﷺ) بذلك ، ويُنْبِئُه أن « زيد بن حارثة » أخَذَ الرَّايَةَ ثم قُتِلَ ، فَأَخَذَهَا « عَبْدُ الله بن رَوَاحَة » فَقُتِلَ ، ثم أخذها « خالدُ بنُ الوَلِيد » فَفُتِحَ له .. فذهب النبى (ﷺ) إلى بيت « جعفر » ، ودخل على « أسماء بنت عميس » وطلب أولادها ، وأخذ يُقبِّلُهم ، ويتشمَّمُهم ، وعيناه تذرفان ، فعلمت أن زوجها

---

[1] ضارعة : نحيفة .

[2] رواه أحمد ومسلم وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

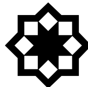
استُشْهِد فصرخت ، ودخل نساء الأنصار يشاركنها البكاء .. وحين سمعهن النبى (ﷺ) قال : (**عَلَى مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِي**)[1] ..

وبِانْتِهَاءِ عِدَّة السيدة « أسماء » تزوجها سيدنا « أبو بكر الصِّدِّيق » ، فأنْجَبَتْ منه « محمد بن أبى بكر » .. ثم بعد موته تزوَّجها « عَلِىُّ بن أبى طالب » ، فولدت له « يَحْيَى » ..

وهكذا كانت رِعَاية الصحابة (رضوان الله عليهم) لأرامل الشهداء بالزواج بِهِنّ وكفالة أطفالهن ..

و« أسماء بنت عميس » هى من أحسن الناس أصْهارًا ، فمن أصْهَارها : رسول الله (ﷺ) فهى أخت « ميمونة بنت الحارث » زوج النبى (ﷺ) ، و« العبَّاس » الذى تزوَّج بأختها « أم الفضل » ، و« حمزة بن عبد الْمُطَّلِب » فقد تزوَّج بأختها « سُلمى بنت عُمَيْس » ..

وذات مرة قال لها سيدنا « عُمَر بن الخطاب » (رضي الله عنه) : **نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلاَ أَنَّا سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ** .. فذهبت إلى النبى (ﷺ) تُخبِره بمقالة « عمر » فردَّ النبى (ﷺ) مُطَيِّبًا قَلْبَها قائلا : (**بَلْ لَكُمْ الْهِجْرَة مَرَّتَيْن : هِجْرَةٌ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وهِجْرَةٌ إِلَى الْمَدِينَةِ**)[2] ..



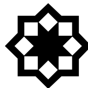
---

[1] عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .

[2] أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ خَيْرَةُ (رضى الله عنها)

كانت (رضى الله عنها) زوجة لـــ « كعْب بن مالك » (رضي الله عنه) ، وكان « كَعْبٌ » أحد شُعَرَاء ثلاثة متخصِّصين فى نظم الشعر على عهد النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) وهم : « حَسَّانُ بنُ ثَابِت » ، و« عَبْدُ الله بنُ رَوَاحَة » ، و« كَعْبُ بْنُ مَالك » ، وكان متخصِّصًا فى مَدْح المسلمين وهِجَاء الْمُشْرِكين ، وقد ذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تتصدَّق بِحُلِيِّهَا ، فقالت : **إِنِّي تَصَدَّقْتُ بِهَذَا** .. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) : (**لاَ يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ فِي مَالِهَا أَمْرٌ إِلاَّ بِإِذْنِ زَوْجِهَا ، فَهَلِ اسْتَأْذَنْت كَعْبًا** ؟) .. قَالَتْ : **نَعَمْ** .. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ زَوْجِهَا فَقَالَ : (**هَلْ أَذِنْتَ لِخَيْرَةَ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِحُلِيِّهَا** ؟) .. فَقَال : **نَعَمْ** .. فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) منْهَا [1] .. لذلك فقد أفاد الفقهاء أنه : **لا يَصِحُّ للمرأة أن تتصرَّف فى مَالِهَا كُلِّه حَالَ حياتِها إلاَّ بعد إِذْنِ زوجها** .. وقد حدَّد لها الشرع جزءًا تتصرَّف فيه بحرية وما عداه لابد من الاستئذان فيه ، بعكس الرجل إذ يمكنه أن يتصرَّف فى ماله كُلِّه حال حياته بغير إِذْنِ زوجته .. وفى كُلِّ الأحوال لا تجوز وصية الرجل أو المرأة إلا فى حدود ثلث المال فقط ، ويشترط أن تكون الوصية لغير وارث ..



[1] رواه ابن ماجه وأبو داود .

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي مُعَاوِيَةَ (رضى الله عنها)

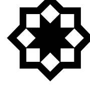
كانت (رضي الله عنها) زوجة لـــ « عبد الله بن مسعود » ، وكان فقيرًا وكانت هى مُوسِرَة .. وتحكى (رضي الله عنها) فتقول : كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ : (**تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ**) .. فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ : **سَلْ رَسُولَ اللَّهِ** (ﷺ) : **أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ ، وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ ؟** .. فَقَالَ : **سَلِي أَنْت رَسُولَ اللَّهِ** (ﷺ) .. فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي ، فَمَرَّ عَلَيْنَا « بلاَلٌ » فَقُلْنَا : **سَلِ النَّبِيَّ** (ﷺ) : **أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي ، وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي ؟** .. وَقُلْنَا : **لاَ تُخْبِرْ بِنَا** .. فَدَخَلَ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : (**مَنْ هُمَا ؟**) .. قَالَ : **زَيْنَبُ** .. قَالَ : (**أَيُّ الزَّيَانِبِ ؟**) .. قَالَ : **امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ** .. قَالَ : (**نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ : أَجْرُ الْقَرَابَةِ ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**)[١] .. فأصبح من حق المرأة أن تُخرِجَ من مالها ، وتُنْفِقَ على زوجها ، وأولاد زوجها من امرأة أخرى إن كان محتاجًا ، وتحتسب هذه الصدقة : **صدقة مُضاعفة** ..

وهذا يُصَدِّقُ حديث رسول الله (ﷺ) الذى يقول فيه : (**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ**[٢] **ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ**)[٣] .. وعليه

---

[١] رواه البخارى كتاب الزكاة .   [٢] الرحم : القُرْبى .   [٣] رواه الترمذى كتاب الزكاة .

فإن مشاركة الزوجة زوجَها فى تحمُّل أعباء المعيشة ، وإن كان ليس فرضًا عليها ، فهو عملٌ تُثابُ عليه بالأجْرِ الْجَزِيل ، ويرفع منـــزلتها عند زوجها ، ويزداد حُبُّها فى قَلْبه ، ويجعله يُشْركها فى أموره كلها ..



السَّيِّدَةُ عَاتِكَة (رضى الله عنها)

هى بنت « زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل » الذى كان موحدًا قبل بعثة النبى (ﷺ) ، فقد كان يعبد الله وحده مُتجنِّبًا أفعال الجاهلية ، وقد ربَّى ابنه « سَعِيدًا » على التوحيد ، فكان من أوائل مَنْ أسْلَمَ بمجرَّد أن بُعِث النبى (ﷺ) ، وكان سببًا فى إسلام « عمر بن الخطاب » ابن عمه وشقيق امرأته .. ولقد كانت السيدة « عاتكة » (رضى الله عنها) بارعة الجمال فائقة الحسن ، ومن أُولَيات المسلمات المهاجرات .. وقد تعلَّق بِهَا زوجها « عبد الله بن أبى بكر » تعلُّقًا شديدًا ، وملك حُبُّها قَلْبَه حتى شغله عن الغزو ، وعن كثير من شئونه ، فأمره أبوه بطلاقها فطلَّقها طاعة لأبيه ، وحزن لذلك حزنًا شديدًا ظهر فى أشعاره الباكية التى منها :

أَعَاتِكُ ، قلبى كُــلَّ يَــوْمٍ ولَيْلَةٍ ... إليك بِمَا تُخْفِى النفــوسُ مُعَلَّق
ولَمْ أرَ مِثْلِى طَلَّقَ اليــومَ مِثْلَها ... ولا مِثْلَها فى غَيــرِ جُــرْمٍ تُطلَّق
لها خَلق جَزْلٌ ، ورَأىٌ ومَنْصِبٌ ... وخُلُقٌ سَوِىٌ فى الحياءِ ومَصْدَق

وما إن سمعها أبوه حتى رقَّ له ، واشفق عليه فأمره بمراجعتها فراجعها ، وعاش معها حتى شهد غزوة « الطَّائِف » مع النبي (ﷺ) ، حيث قضى شهيدًا ، فبكته وقالت ترثيه :

رُزِئْتُ بِخَيْرِ النَّــاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ... وبَعْدَ أبِى بَكْرٍ ، ومَا كَانَ قَصَّرا
فآليــتُ لا تَنْفَكُّ عَيْنِى حَزِينــةً ... عَلَيْكَ ، ولا يَنْفَكُّ جِلْدِىَ أغْبَرا

فَلله عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَــهُ فَتًــى   أكَرّ وأحْمَى فى الهيــاجِ وأصْبَرا
إذَا شُرِعت فِيهِ الأسِنَّــةُ خَاضَها   إلى الْمَوْتِ حتَّى يَتْرُكَ الرُّمْحَ أحْمرا

ثم تزوَّجها ابن عمها « عمر بن الخطاب » ، وأوْلَمَ عليها ، ودعا « على بن أبى طالب » لهذه الوليمة ، فقال لها « على » : **يا عُدَيَّةَ نَفْسِهَا .. أيْنَ قَوْلُكِ :**

فَآلَيْتُ لاَ تَنْفَكُّ عَيْنِى حَزِينَة   عَلَيْكَ ، ولاَ يَنْفَكُّ جِلْدِىَ أغْبَرَا ؟!!

فبكت .. فقال « عُمر » : **ما دَعَاكَ إِلَى هذا يا أبا الْحَسَن ؟!.. كُلُّ النِّسَاءِ يَفْعَلْنَ هَذَا** .. فقال : ولَكِن الله يَقُولُ : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)[1] .. [2]

ومضت الأيامُ ، وقتل « عمر بن الخطاب » ، فقالت تَرْثِيه :

عَيْنُ جُــودِي بِعَبْــرَةٍ ونَحِيبِ   لا تَملِّى عَلَى الإمَــامِ النَّجيبَ
قُلْ لأَهْلِ الضَّرَّاءِ والبُؤْسِ : موتوا   قد سَقَتْهُ الْمَنُونُ كَأْسَ شَعُوبَ [3]

ثم تزوَّجها « الزُّبَيْر بن العَوَّام » بعد ذلك ، وشاءت الأقدار أن يُقْتَل « الزبير » فى وقعة « الْجَمَل » ، فعبَّرت عن فجيعتها وحزنهَا بشعْرٍ باكٍ تناقَلَتْهُ الرُّكْبَان ، وجاءها « عَلِىُّ بن أبى طَالب » يَخْطِبُها .. فقالت له : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ بَقِيَّةُ النَّاسِ ، وسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وإِنِّى أنْفَسُ بِكَ [4] عَنِ الْمَوْتِ** .. وأَبَتْ أن تتزوَّجه .. وظلَّت بلا زوج حتى ماتت (رضى الله عنها) .. [5]

---

(١) سورة الصف آية ٢ . (٢) أُسد الغابة لابن الأثير . (٣) شَعوبُ : اسم علم للمنيّة .
(٤) أنْفَسُ : أضِنُّ وأمسك . (٥) أُسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ مِحْجَنَةُ (رضى الله عنها)

قد أورد « البُخاري » خبرًا عنها ولكنَّ الرواى كان فى شك إن كانت رجلاً أو امرأة : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلاً أَسْوَدَ – أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ – كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ (١) فَمَاتَ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَنْهُ ، فَقَالُوا : **مَاتَ** .. قَالَ : (**أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي** (٢) **بِهِ ؟! دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ – أَوْ قَالَ قَبْرِهَا –**) .. فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا (٣) ..

سبحان الله .. أيُّ عطفٍ هذا ؟! وأيُّ حنانٍ هذا ؟! امرأة سوداء لا يُعْرف نَسَبهَا ، بل هناك شك فيما إذا كانت امرأة ، أو كان رجلاً يعاتب النبى (ﷺ) أصحابه فى شأنِها ، وكيف لم يخبروه بموتِها ؟!.. على رغم اعتذارهم بأن الوقت كان ليلاً ، وأن الليلة كانت شاتية باردة ، ومع ذلك أمرهم أن يدلُّوه على قبرها ، وذهب إلى القبر ، وصلَّى صلاة الجنازة عليها ، ودعا لهذه المرأة المجهولة التى كانت تنظِّف المسجد دون أجر ، ودون إعلان عن نَفْسِها .. مما يَدُلُّ على أهمية المحافظة على نظافة المساجد التى هى بيوت الله فى الأرض ..

هذا .. وقد أفاد العلماء أنه يجوز الصلاة على القَبْر صلاة الجنازة لِمَنْ لم يشهدها فى حدود ثلاثة أيام من الدَّفْن استنادًا إلى فِعْل النبى (ﷺ) ..

---

(١) يجمع القمامة من المسجد ويُنَظِّفُه . (٢) آذنتمونى : أى أعلمتمونى . (٣) رواه البخارى كتاب الصلاة .

السَّيِّدَةُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ (رضى الله عنها)

كانت زَوْجة لـــ « عكْرِمَة بن أبِى جَهْلٍ » أحد صناديد قُرَيش ، وقد شهدت غزوة « أُحُد » وهى مع الكفار و لم تُسْلِم إلا بعد الفَتْح ، ثم هرب زوجها إلى اليمن خوفًا ، فذهبت تستأمن رسول الله (ﷺ) له ، وتستأذن فى أن تخرج فى طَلَبه فَأَذن لها ، فذهبت إلى زوجها فى اليمن ، وأخبرته بأمان رسول الله (ﷺ) له وعادت به إلى المدينة ، وأسْلَمَ ، وقَبِل النبى (ﷺ) إسلامه ..

ويحكى « عبد الله بن الزُّبَير » (رضى الله عنهما) هذه القصة فيقول :

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الفَتْح أسْلَمَتْ « أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الحارثِ بن هِشَامٍ » امْرأةُ « عِكْرِمَةَ بنِ أَبِى جَهْلٍ » ، ثُمَّ قَالَتْ « أُمُّ حَكِيمٍ » : **يَا رَسُولَ الله ، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْكَ إِلَى الْيَمَن ، وخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَآمِنْهُ** .. فَقَالَ رَسُول الله (ﷺ) : (**هُوَ آمِنٌ**) .. فَخرَجَتْ فى طَلَبِهِ ، وأَدْرَكَتْه وقَد انْتَهَى إِلَى سَاحِلٍ من سَوَاحِلِ « تِهَامَةَ » .. ولما رَكِبَ البَحْرَ أَصَابَهُمْ عَاصِفٌ ، فَقَال أَصْحَابُ السَّفِينَة : **أَخْلِصُوا ، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ هَاهُنَا شَيْئًا** .. فقال « عِكْرِمَة » : **والله لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي فِي الْبَحْرِ إِلاَّ الإِخْلاَصُ ، لاَ يُنْجِينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ .. اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِي مُحَمَّدًا حَتَّى أَضَعَ يَدِيَ فِي يَدِه ، فَلاَ أَجِدَنَّهُ إِلاَّ عَفُوًّا كَرِيمًا** .. فجاء فأسلم ، فَسُرَّ بذلك رسول الله (ﷺ) .. ثم

قال « عكرمة » : **يَا رَسُولَ اللهِ ، عَلِّمْني خَيْرَ شَيْءٍ أَقُولُهُ** .. فقال : (**تقول : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**) .. فقال « عكرمة » : **ثُمَّ مَاذَا ؟** .. قال رسول الله (ﷺ) : (**تقول : أُشْهِدُ اللهَ ، وأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُجَاهِدٌ مُهَاجِرٌ**) .. فقال « عكرمة » ذلك .. فقال رسول الله (ﷺ) : (**لا تَسْأَلُني الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلاَّ أَعْطَيْتُكَهُ**) .. قال « عكرمة » : **فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا ، أَوْ مَسِيرٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ** [1] ، **أَوْ مَقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ ، أَوْ كَلاَمٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ ، أَوْ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ** .. فقال رسول الله (ﷺ) : (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا ، وكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ ، واغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عِرْضٍ فِي وَجْهِي أَوْ وأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ**) .. فقال « عكرمة » : **رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللهِ** .. ثم قال « عكرمة » : **أَمَا واللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لاَ أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أُنْفِقُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ، ولاَ قِتَالاً كُنْتُ أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ..** [2]

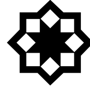
ثم قُتِلَ عنها « عكرمة » (رضي الله عنه) ، فتزوَّجت من بعده « خالد بن سعيد » – وكان من المجاهدين – فخرج فى غزوة إلى الشام وأراد أن يدخُلَ بهَا فقالت له : **لَوْ تَأَخَّرْتَ حَتَّى يَهْزِمَ اللهُ هَذِهِ الْجُمُوعَ !** فقال لها : **إِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِى أَنِّى أُقْتَل ..**

---

[1] أى : أو جماعة من الناس أفسدتُ فيهم .

[2] ذكره الواقدي فى المغازي .. وابن حجر فى الإصابة .

قالت : **فَدُونَكَ** .. فدخل بِهَا فى خيمة ، وأَعَدَّ وَلِيمَةً لأصحابه ، وما إن فرغ الناس من الطعام حتى أقبلت جموع الروم ، وقامت المعركة ، وقُتِلَ زوجها ودُفِنَ هناك ، واستمرَّت هِىَ تُقَاتِلُ ، وكان سلاحها عمود الخيمة التى شهدت عُرْسَهَا ، فقَتَلت به سَبْعَةً من الروم [1] .. وقد سُمِّيت المنطقة بـــ « قنطرة أُمِّ حكيم » ، وهى قريبة من مدينة « دمشق » ..



---

[1] ذكره ابن حجر فى الإصابة بنحوه .

السَّيِّدَةُ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْر (رضي الله عنها)

كانت من نساء الأنصار اللاَّتى أسْلَمْنَ قَدِيمًا ، وكانت تخرج فى الغزوات تُدَواي الْجَرْحَى ، وتَسْقِي العَطْشَى ، وفى غزوة « بَدْرٍ » اسْتُشْهد ابْنُها « حارثة ابن سُرَاقة » بين يَدَىْ رسول الله (ﷺ) فجاءته وقالت : **يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ؟ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّة صَبَرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْه فِي الْبُكَاءِ** .. فَقَالَ : (**وَيْحَكِ ! أَوَهَبِلْتِ ؟! أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ ؟!** .. **إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ**)[(١)] فقرَّت عينُها ، وسعدت بِهَذه البُشْرَى ..

وفى يوم من الأَيَّام دخل أناس على رسول الله (ﷺ) يَشْكُونَ « الرُّبَيِّع » ويطلُبُون القِصَاصَ منها ، فقد ضربت وجه امرأة منهم فَكَسَرَتْ ثنِيَّتَها ، وحاول أهل « الرُّبَيِّع » استرضاء المرأة وأهلها حتى يقبلوا التعويض أو يعفوا فأبوا إلا القِصَاصَ ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ (ﷺ) فَأَمَرَهُمْ بِالْقِصَاصِ ، فَقَالَ أخوها « أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ » : **أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّه !! لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا** .. فَقَالَ : (**يَا أَنَسُ ، كِتَابُ اللَّه الْقِصَاصُ**) .. وفجأة جاء أهل المرأة يتنازلون عن القِصَاص ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ**)[(٢)]..

---

(١) رواه البخارى كتابي المغازى ، والجهاد والسِّيَر .

(٢) رواه البخارى كتاب الصلح .

السَّيِّدَةُ بَرِيرَةُ (رضى الله عنها)

كانت أَمَةً من إِمَاءِ الأنصار ، وكاتَبَتْ مواليها [(١)] على خَمْسِ أَوَاقٍ من فِضَّة تعطيها لهم ليعتقوها .. فذهبت إلى السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) تستعينها على كتابتها ، فعرضت عليها السيدة « عائشة » أن تُعْطِي مواليها القيمة كاملة ، ويكون الولاء [(٢)] لها ، فلم يقْبَلُوا وشرطوا الولاء لهم .. وحين علم رسول الله (ﷺ) بذلك قال لـــ « عائشة » : (**اشْتَرِيهَا وَأَعْتِقِيهَا ، فإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**)[(٣)] ، ثم خَطَبَ الناس ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْه ، ثُمَّ قَالَ : (**أَمَّا بَعْدُ .. مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّه ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّه فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ .. قَضَاءُ اللَّه أَحَقُّ ، وَشَرْطُ اللَّه أَوْثَقُ .. وَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**)[(٤)] .. وسَنَّ لهم هذه السُّنَّةَ ، وفعلت « عائشة » (رضي الله عنها) ، وأعتقت « بريرة » ، فتصدَّق أُناس عليها بشاة أرسلوها إلى « عائشة » فطبختها ، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) وَالْبُرْمَةُ تَفُورُ بِاللَّحْمِ ، فَقُرِّبَ إِلَيْهِ خُبْزٌ وَأُدْمٌ [(٥)] مِنْ أُدْمِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ : (**أَلَمْ أَرَ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ ؟!**) .. قَالُوا : **بَلَى ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَحْمٌ تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ ، وَأَنْتَ لاَ تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ** .. قَالَ : (**هُوَ عَلَيْهَا**

(١) أى الذين يملكونَها . (٢) أى الميراث . (٣) رواه البخارى كتاب العتق .
(٤) رواه البخارى كتاب البيوع . (٥) الأدم : ما يؤكل مع الخبز من الطعام .

صَدَقَةٌ ، وَلَنَا هَدِيَّةٌ)[1] .. فكانت سُنَّةً أخرى تُسَنُّ للناس ..

وفارقت الجارية – بعد عتقها – زوجها الذى أحبَّها حُبًّا شديدا مَلَكَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ فكان يَمْشِي وراءَها فى سِكَكِ المدينة يَبْكِي ، وذهب إلى رسول الله (ﷺ) يرجوه أن يكلِّمَها كي تعود إليه ، فاستدعاها النبى (ﷺ) وقال لها : (**لَوْ رَاجَعْته ؟**) .. قَالَتْ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَأْمُرُنِي ؟** .. قَالَ : (**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**) .. قَالَتْ : **لاَ حَاجَةَ لِي فِيه** [2].. فأمَرَها (ﷺ) أن تعتدَّ عِدَّةَ المطلَّقة ، وأصبحت هذه سُنَّةً ثالثة : وهى أن الأَمَةَ إذا أُعْتِقَتْ كان لها الْخِيَارُ فى البقاء مع زوجها أو فِرَاقِه .. نَعَمْ ، لقد كان فيها ثلاث سنن (رضى الله عنها) ..

ولقد كانت (رضى الله عنها) شجاعة فى قول الحق ، فقد دخل عليها يومًا « عبد الملك بن مروان » فقالت له : يا عَبْدَ الْمَلِكِ ، إِنِّى أَرَى فِيكَ خِصَالاً ، وإِنَّكَ لَخَلِيقٌ أَنْ تَلِيَ هَذَا الأَمْرَ ، فَإِنْ وُلِّيتَهُ فَاحْذَرِ الدِّمَاءَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ الله (ﷺ) يقول : (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْفَعُ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا بِمِلْءِ مِحْجَمَةٍ** [3] **مِنْ دَمٍ يُرِيقُهُ مِنْ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ**)[4] ..

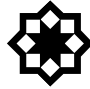
يالها من نصيحة غالية تُقَدَّم إلى الْحُكَّام .. فإن الْمَرْءَ فى فُسْحَةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دمًا ، وإن سلطان الدُّنْيا قد يُطْغِي الإنسان فيَأْبَى أن يُخَالَف فى الرَّأْي ، أو يستهويه التملُّق والنفاق ، وتزعجه كلمة الحق ، فلا تجد إلى قلبه سبيلاً .. وإن

---

(1) رواه البخارى كتابي النكاح ، والطلاق .
(2) رواه البخارى كتاب الطلاق .
(3) محجمة : إناء صغير .
(4) رواه ابن عساكر .

الإمام العادل ضمن سبعة يُظِلُّهم الله بظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلّه ..

وما من رجل يُسْتَخْلَفُ إلا وتكون له بطانَتَان : بِطانة خير تدعوه إلى الخير وتحضُّه عليه ، وبطانة شَرٍّ تدعوه إلى الشر وتحضُّه علَيه .. والمعصوم مَنْ عصمه الله ..



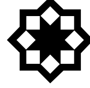
السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ (رضى الله عنها)

كان أبوها من صَنَادِيد قُرَيْش ، ومنْ أَشَدِّ الناس إيذاءً لرسول الله (ﷺ) وتَعْذِيبًا لِلْمُسْلمين خاصَّةً العَبِيد منهم ، والضُّعَفَاء .. وكذلك كان أخواها : « الوليد » ، و« عمارة » .. ومن بين أفراد هذه الأُسْرَة الكَافِرَة الْمُسْتَكْبِرَة اصطفاها الله تبارك وتعالى ، وشَرَح صدرها للإِسْلام ، فكانت من المسلمات الأُوَل على رغم كُفْر أَبِيهَا وأخويها ..

وجاء صُلْحُ الْحُدَيْبِيَة الذى اشْتَرَط أهل مَكَّةَ فِيهِ على المسْلمين أن يردُّوا إِلَيْهم كُلَّ مَنْ يهاجر منهم رِجَالاً كانوا أو نِسَاءً ، وقَرَّرَت هى أن تُهَاجر إلى المدينة فِرَارًا بِدِينِها ونَفْسِهَا من مجتمع الشرك والفجور ، ولم تجدْ ما تَرْكَبُه ، ولا مَنْ تَصْحَبُه ، فهاجرت مَشْيًا على الأَقْدَام حَتَّى وصلت مُنْهَكَة مُتْعَبَة ، وما كَادَتْ أن تستريح حتى جاء أَخَوَاها يطلبان من رسول الله (ﷺ) أن يَرُدَّها عليهما تنفيذًا لبنود معاهدة الْحُدَيْبِيَة ، وأوشك أن يَرُدَّها عليهما فنَزَل « جبريل » الأمين بقول الله تعالى : (فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ)[1] .. فنسخت الآية من المعاهدة الفقرة الخاصة بإرجاع النساء اللاَّتى يأتين من مكَّةَ إلى المدينة مهاجرات ، فمكثت بالمدينة ، وتزوَّجت من « زَيْدِ بن حَارِثَة » ،

[1] سورة الممتحنة آية ١٠ .

ولَمَّا قُتِلَ عنها يوم « مُؤْتَة » تزوَّجها « الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام » ثم طَلَّقها ، فتزوَّجها « عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ » .. ولَمَّا مَات عنها تزوَّجَتْ مِن « عَمْرو بن العَاص » فمكثت معه شهرًا ثم ماتت ..



السَّيِّدَةُ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْب (رضى الله عنها)

خرج رسول الله (ﷺ) من « مَكَّة » إلى « العَقَبَة » سِرًّا لمقابلة وَفْدِ المدينة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأتين فبايعوه .. وكان من ضمن الوفد السيدة « نَسِيبَة بِنْت كَعْبِ بْنِ عَمْرو أُمّ عُمَارَة الأَنْصَارِيَّة » ، وكان معها زوجها وابنان لها ، وعادت إلى المدينة بعد أن حازت شرف الْبَيْعَة فى العَقَبَة والسَّبْقِ فى الإسلام ، وظلت (رضي الله عنها) تدعو إلى الإسلام بالمدينة المنوَّرة حتى هاجر إليها رسول الله (ﷺ) فكانت ضمن الْمُسْتَقْبِلِينَ له ، وكانت تشهد الغَزَوَات ، وشهدت غَزْوَةَ « أُحُد » مع زوجها وابنيها .. ولقد حازت أيضًا شرف شُهُود « بَيْعَة الرِّضْوَان » التى تَمَّتْ تحت الشجرة يوم الْحُدَيْبِيَة .. وقد كان رسول الله (ﷺ) يزورها فى بيتها ، ويفْطِرُ عندها ، ويقول لها : (**إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرُغُوا** – وَرُبَّمَا قَالَ : **حَتَّى يَشْبَعُوا**)[1] ..

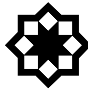
وقالت له يومًا : **مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ لِلرِّجَالِ ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ** ، فنزَل قول الله تعالى : (إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ

[1] رواه الترمذى كتاب الصوم .

وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[١] .. [٢]

وحين ظهر « مُسَيْلِمَةُ الكذَّاب » فى « اليَمَامَة » وادَّعى النبوَّة أرسل رسول الله (ﷺ) إليه ابنها « حبيب بن زيد بن عاصم » الذى شهد معها « بيعة العَقَبَة » هو وأخوه « عبد الله » ، وأبوهما « زيد بن عاصم » .. ووصل « حبيب » إلى « مُسَيْلِمَة » برسالة رسول الله (ﷺ) والذى جاء فيها : (**مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى مُسَيْلِمَة الكَذَّاب** ..) ، وأوقفه « مُسَيْلِمَة الكذَّاب » أمامه وسأله : **أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ؟!..** قال « حبيب » : **نَعَمْ أَشْهَدُ** .. فقال « مُسَيْلِمَة » : **أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللهِ ؟!..** قال « حبيب » : **أَنَا أَصَمٌّ لاَ أَسْمَعُ** .. فكرَّر « مُسَيْلِمَة » عليه السؤال ، وكرَّر « حبيب » الإجابة .. فأخذ « مُسَيْلِمَة » يُقَطِّع أعضاءه عضوًا عضوًا ، ويكرِّر السؤال عليه ، ويكرر (رضي الله عنه) الإجابة حتى مات شهيدًا .. [٣]

وجاءت حُرُوب اليمامة مع « مُسَيْلِمَة الكذَّاب » ، وخرجت « نَسِيبَة بنت كعب » (رضى الله عنها) للغزو ، وقاتلت ، وأُصِيبَتْ يَدُهَا ، وجُرِحَت اثني عَشَر جُرْحًا .. [٤]



[١] سورة الأحزاب آية ٣٥ .
[٢] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .
[٣] أُسد الغابة لابن الأثير .
[٤] الاستيعاب لابن عبد البر .

السَّيِّدَةُ أُمُّ عَبْدِ اللَّه (رضى الله عنها)

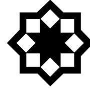
كانت (رضى الله عنها) زوجة للصحابى الجليل « نعيم بن النَّحَّام » ، وكان لها بنت ، فطلب « عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ بن الخطاب » من أبيه أن يخطب له ابنتها ، فقال : **يا أَبَتِ ، إِنِّي قَدْ خَطَبْتُ بِنْتَ نُعَيْمِ بْنِ النَّحَّامِ ، وأُرِيدُ أَنْ تَمْشِيَ مَعِي فَتُكَلِّمَهُ لِي** .. فقال « عمر » : **إِنِّي أَعْلَمُ بِنُعَيْمٍ مِنْكَ ، إِنَّ عِنْدَهُ ابْنَ أَخٍ لَهُ يَتِيمًا ولَمْ يَكُنْ لِيَتْرُكَهُ** .. فقال : **إِنَّ أُمَّهَا قَدْ خَطَبَتْ إِلَيَّ !!** .. قال « عمر » : **فإِنْ كُنْتَ فَاعِلاً فَاذْهَبْ مَعَك بِعَمِّكَ** : « **زَيْدِ بْنِ الْخَطَّاب** » .. فَذَهَبَا إِلَيْه فَكَلَّمَاهُ ، فَكَأَنَّمَا كان « نُعَيْم » يَسْمَعُ كَلاَمَ عُمَرَ (رضي الله عنه) فَقَالَ : **مَرْحَبًا بِك وَأَهْلاً** – وَذَكَرَ مِنْ مَنْزِلَتِهِ وَشَرَفِهِ – ثُمَّ قَالَ : **إِنَّ عِنْدِي ابْنَ أَخٍ لِي يَتِيمٌ ، وَلَمْ أَكُنْ لأَصِلَ لُحُومَ النَّاسِ وَأَتْرُكَ لَحْمِي** .. فَقَالَتْ أُمُّهَا مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْت : **واللَّه لاَ يَكُونُ هَذَا حَتَّى يَقْضِيَ بِهِ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ** (ﷺ) .. ثُمَّ خَرَجَتْ حَتَّى أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) ، فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ ، فَدَعَا « نُعَيْمًا » فَقَصَّ عَلَيْهِ « نُعَيْم » كَمَا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِنُعَيْمٍ : (**صِلْ رَحِمَكَ ، وَأَرْضِ أَيِّمَكَ** [1] **وَأُمَّهَا ، فَإِنَّ لَهُمَا مِنْ أَمْرِهِمَا نَصِيبًا**)[2] .. ودلَّ ذلك على أن أساس الزواج الرِّضَا المشترك ، ولا يصح لرجل أن يُزوِّج ابنته دون رضاها ،

---

(1) الأَيِّم : التى لا زوج لها .

(2) الإصابة لابن حجر .

أو يزوِّج ابنه دون رضاه ، فزواج الْمُكْره لا يَصِحُّ ، وطلاق الْمُكْره لا يقع ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : (**لاَ تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ ، وَلا الثَّيِّبُ** [1] **حَتَّى تُسْتَأْمَرَ** [2]) .. فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ : (**إِذَا سَكَتَتْ**)[3] .. وما يفعله بعض الجهلاء من إكراه البنت على الزواج ممن لا تُحِبُّ حرام شَرْعًا ، وزواجها إن تم كرهًا باطل قطعًا ..



---

[1] الثيب : من سبق لها الزواج .

[2] حتى تستأمر : أى أنه لا يعقد عليها حتى تأمر بذلك .

[3] رواه البخارى كتاب الْحِيَل .

السَّيِّدَةُ أُمُّ الْعَلاَءِ الأَنْصَارِيَّة (رضى الله عنها)

كان الأنصار يتسابقون فى استْضافة المهاجرين بالمدينة مما دعا إلى إجراء القُرْعَة بينهم وكُلٌّ وحَظُّهُ ونَصِيبُهُ ، ولقد كان من حَظِّها أن فازت هى وزوجها باستضافة الصَحَابِىّ الجليل « عُثْمَان بن مَظْعُون » وهو من المهاجرين الأوائل .. ولقد مرض (رضي الله عنه) مرضًا شديدًا فقامت على خدمته وتمريضه خيرَ قيام حتى مات ، فتمَّ تغسيله وتكفينه بِبَيْتِها ، ثم قاموا بإخطار رسول الله (ﷺ) الذى جاء مُسْرِعًا ، ودخل عليهم فسمعها تقول : **رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِب ، شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ** .. فقال لها رسول الله (ﷺ) : (**وَمَا يُدْرِيك أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ ؟!**) .. قَالَتْ : **لاَ أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه فَمَنْ ؟** .. قَالَ : (**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّه الْيَقِينُ ، وَاللَّه إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَمَا أَدْرِي وَاللَّه وَأَنَا رَسُولُ اللَّه مَا يُفْعَلُ بِي**) .. قَالَتْ : **فَوَاللَّه لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ** .. قَالَتْ : فَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ ، فَنِمْتُ ، فَرِيتُ [1] لعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَيْنًا تَجْرِي ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : (**ذَلِك عَمَلُهُ**)[2] ..

هذا .. وقد علمنا من ذلك أننا إذا كُنَّا مادحِين أحدًا أن نقول : **أَحْسِبُ فُلاَنًا ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا** [3] .. ولقد كانت من المسلمات الأوليات من نساء الأنصار ، ومِمَّن بَايَعْنَ رسول الله (ﷺ) ..

(1) ريت : رأيت فى منامي . (2) رواه البخارى كتاب المناقب . (3) رواه البخارى كتاب الشهادات .

السَّيِّدَةُ أُمُّ زُفَرَ (رضى الله عنها)

هى سيدة جليلة حَبَشِيَّة ، كانت ماشطة السيِّدَة « خَدِيجة » ، التى تُجَمِّلُها .. وقد ذهبت تشكو لرسول الله (ﷺ) وتقول : **إِنِّي أُصْرَعُ ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ** ، **فَادْعُ اللَّهَ لِي** .. قَالَ : (**إِنْ شئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**) .. فَقَالَتْ : **أَصْبِرُ** .. ثم قَالَتْ : **إِنِّي أَتَكَشَّفُ** ، **فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ** .. فَدَعَا لَهَا [١] .. فكانت تُصْرَع ولكنها لا تنكشف ..

وهذه القصة تدل على أن الصرع مرض لا علاقة له بمس الجنِّ كما يزعم بعض الناس ، وأن العلاج الذى عرضه رسول الله (ﷺ) هو الدعاء لها ، والدعاء فقط ، وأن من صبر على هذا البلاء كان من أهل الجنة .. فالصبر من أعظم النعم التى يمكن أن يرزقها العبد والتى يبلغ بِهَا مَنْزِلةً فى الجنة لا يبلغها بعمله ..

وقد ورد فى الحديث القدسى قول الله تبارك وتعالى : (**إِنَّ أَوَّلَ شَىْءٍ كَتَبَهُ اللهُ فِى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِنِّى أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنَا لاَ شَرِيكَ لِى ، إِنَّ مَنِ اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِى ، ورَضِىَ بِحُكْمِى ، وصَبَرَ عَلَى بَلاَئِى بَعَثْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَة مَعَ الصِّدِّيقِينَ**)[٢] ..

وصدق الله العظيم إذ يقول : (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)[٣]..

---

[١] رواه البخارى كتاب المرضى . [٢] رواه الديلمي عن ابن عباس . [٣] سورة الزمر آية ١٠ .

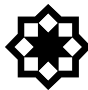
السَّيِّدَةُ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ (رضى الله عنها)

هى أخت « أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْت مِلْحَان » ، فهى خالة « أنس بن مالك » .. كانت كثيرًا ما تُهَيِّئ طعامًا لرسول الله (ﷺ) فيأتيها ويأكل عندها ، وغفا يومًا عندها غفوة ثم استيقظ يضحك ، فقالت : **يَا رَسُولَ اللَّه مَا يُضْحِكُكَ ؟!** .. قال : (**أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الأَخْضَرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**) .. قَالَتْ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ** .. فَقَالَ : (**أَنْتِ مِنْهُمْ**) .. ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فقالت : **يَا رَسُولَ اللَّه مَا يُضْحِكُكَ ؟!** .. قال : (**أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الأَخْضَرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**) .. قَالَتْ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ** .. فَقَالَ : (**أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ**)[1] .. وتزوَّجت من رجل من الأنصار هو « عُبَادَة بن الصَّامِت » (رضي الله عنه) وكان مُحِبًّا للغَزْوِ فى سبيل الله .. وفى خلافة « عُثْمَانَ بنِ عَفَّان » (رضي الله عنه) تجهَّز جيش لغزو جزيرة « قُبْرُص » بقيادة « معاوية ابن أبى سُفْيَان » ، وكان أوَّل جيش يغزو فى البحر ، وخرجت مع زوجها فى هذه الغَزْوَة ، ووصَلَت السُّفُن إلى « قُبْرُص » ، ونزل المسلمون ينشرون دين الله وكانت معهم تُدَاوِي الْجَرْحَى ، وتَسْقِي العَطْشَى ، فوقعت من على دابَّتِها فَقُتِلَتْ

---

[1] رواه البخارى كتاب الجهاد والسِّيَر .

شهيدةً ، ودُفِنَتْ فى جزيرة « قُبْرُص » ، فكانت أوَّل شهيدة فى الإسلام تموت فى غزوةٍ بَحْرِيَّة ، وتتحقَّق رُؤْيَا رسول الله (ﷺ) : (**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِهِ يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ الأَخْضَرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**) ، وتُستجاب دعوته وبشراه لها : (**أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ**) .. وكان ذلك فى السنة السابعة والعشرين من الهجرة ، وقد شهد هذه الغزوة من الصحابة « أبو ذر الغفارى » ، و« أبو الدرداء » (رضى الله عنهما) وغيرهما .. ولا شك أن كل مَنْ شهد هذه الغزوة قد فاز بالبُشْرى ، وعلى رأسهم « معاوية بن أبى سفيان » الذى كان قائدًا لهذا الجيش ، ومع ذلك غفل المؤرِّخون للفتَن ، والمتاجرون بالكلام عن فضل « معاوية بن أبى سفيان » ، ذلك الصحابى الجليل الذى كان أول مَنْ ركب ظهر البحر غازيًا فى سبيل الله ناشِرًا لدِينِه ، وهو العربى الذى عاش فى الصحراء لا يرى بحرًا ولا موجًا ، ولم يركب سفينة أو قاربًا فى حياته - والإنسان عَدُوٌّ ما يجهل - ومع كل ذلك كان سببًا فى رفع راية التوحيد على جزيرة « قُبْرُص » .. فأين « قُبْرُص » اليوم ؟!.. وأين راية التوحيد التى رفعها « معاوية بن أبى سفيان » وأصحابه ؟!.. وأين نساؤنا اليوم من نساءِ الصحابة اللاتى كُنَّ يَرْكَبْن البحر للغزو فى سبيل الله ، فكثير من النساء لا يعرفن من البحر إلا شواطئه ، يستلقين على رمالها عاريات ليستمتعن بأشِعَّة الشمس ونظرات الرجال .. ليتنا نتعرَّف تاريخَ الصحابة والصحابيات (رضوان الله عليهم) لنتأسَّى بِهِم حتى يعود إلى الأمة مَجْدُها وعِزُّها ..



السَّيِّدَةُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ (رضى الله عنها)

هى بنت السيدة « أُمَيْمَة بنت عبد الْمُطَّلب » عمة رسول الله (ﷺ) ، وأخت السيدة « زَيْنَب بنت جَحْش » أم المؤمنين .. وكانت (رضى الله عنها) متزوِّجَة من « مُصْعَب بن عُمَير » ، الذى كان سفير النبى (ﷺ) إلى أهل المدينة قبل هجرة النبى (ﷺ) إليها ، وكان يُعَلِّمُهم القرآن ، وأحكام الإسلام ، وكانت تذهب معه حيث ذهب لِتُفَقِّه نِسَاء الأنصار فى الدِّين .. وفى غزوة « أُحُد » كانت تَسْقِي العَطْشَى ، وتُدَاوى الْجَرْحَى ، وكانت تخرج فى الغزوات مع رسول الله (ﷺ) فهى من فُضْلَيَات الصحابيّات ، وقد أَسْلَمَتْ قديمًا ، وحين قُتِلَ زوجها « مُصْعَبُ بن عُمَير » فى غزوة « أُحُد » تزوَّجها « طلحة بن عُبَيْدِ الله » ..

وعلى رغم صلاحها وتقواها وقعت فى السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) حين حدثت قِصَّة الإفك ، وتكلَّمَت بما تكلم به المنافقون ظنًّا منها أن ذلك يرفع منـــزلة أُخْتِها السيدة « زيْنَب بنت جَحْش » (رضى الله عنها) عند رسول الله (ﷺ) ، فى الوقت الذى كانت فيه السيدة « زَيْنَب » تُدافع عن ضُرَّتِها السيدة « عائشة » حين سألها النَّبِىّ (ﷺ) وتقول : **يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلاَّ خَيْرًا ..** [1]

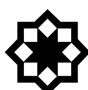
---

[1] رواه البخارى كتاب الشهادات .

هذا .. وحين نزلت الآيات تُحدِّد عقوبة رمى المحصنات بالْجَلْد ثَمانِينَ جَلْدة ، جُلِدَت السيدة « حمنة بنت جحش » مع مَنْ جُلِدَ ، وكان ذلك كفَّارة لما ارتكبته فى حق السيدة « عائشة » ..

وهكذا يحافظ الإسلام على أعراض الناس ، فلا تَلُوكُها الأَلْسُن بغير بَيِّنَة أو دليل ، يتساوى الجميع أمام القانون السماوى : لا فرق بين شريف ووضيع ، أو غَنِى وفقير .. وهاهى ابنة عمة رسول الله (ﷺ) ، وشقيقة زوجته تُجْلَدُ مع مَنْ جُلِدَ ، ولا تشفع لها قرابتها ، ولا سبق إسلامها وهجرتها ، ولا منزلة زوجها الصحابى الجليل « طلحة بن عُبَيْد الله » الْمُبَشَّر بِجِوَارِ رسول الله (ﷺ) فى الجنة .. هذه هى عظمة الإسلام والذى بتطبيق أحكامه تتحقَّق عظمة الأُمَّة ..

وللسيدة « حمنة » حديث خاص بالاستحاضة ، فقد أتت النَّبِيَّ (ﷺ) فقالت : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أُسْتَحَاضُ حَيْضَةً كَثِيرَةً شَدِيدَةً ، فَمَا تَأْمُرُنِي فِيهَا ؟! قَدْ مَنَعَتْنِي الصِّيَامَ وَالصَّلاَةَ !!** [1] .. فأَمَرَها (ﷺ) أن تُقَدِّر مقدَار حَيضَتِهَا فتمتنع عن الصلاة والصيام فى هذه الْمُدَّة ، ثم إذا مضت هذه الفترة اغتسلت وصلَّت وصامت ، على أن تغتسل مكان الاستحاضة ، وتضع حائلاً من قماش أو قطن ، وتتوضَّأ لكل فرض من فروض الصلاة بعد دخول وقته ، ولا يضرها نزول الدم أثناء الوضوء والصلاة ..



[1] رواه الترمذى كتاب الطهارة .

السَّيِّدَةُ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّة (رضى الله عنها)

كانت من صُوَيْحبَات السيدة « خَديجَة » (رضى الله عنها) ، وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : جاءت عجوز إلى النبى (ﷺ) وهو عندي ، فقال لها رسول الله (ﷺ) : (**مَنْ أَنْت ؟**) .. قالت : **أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ** .. فقال : (**بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ ، كَيْفَ أَنْتُمْ ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا ؟**) .. قالت : **بِخَيْرٍ ، بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ الله** .. فلمَّا خَرَجَتْ ، قُلْتُ : **يَا رَسُولَ الله ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِه الْعَجُوز هَذَا الإِقْبَال ؟!** .. فقال : (**إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينا زَمَنَ خَدِيجَةَ ، وإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ منَ الإِيمَان**)[1] ..

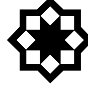
ويقول « أنس بن مالك » (رضي الله عنه) : كان رسول الله (ﷺ) إذا أُهْدِيَتْ إِلَيْه هَدِيَّةٌ قال : (**اذْهَبُوا بِبَعْضِهَا إِلَى فُلاَنَةَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةَ خَدِيجَةَ ، وإِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ**)[2] ..

وهكذا يضرب رسول الله (ﷺ) المثلَ لأمَّته فى الوفاء للزوجة بعد مَوْتها ، وللأبوين كذلك كما جاء فى الحديث الذى رواه « أَبُو أُسَيْد مَالكُ بْنُ رَبِيعَةَ السَّاعدِيِّ » (رضي الله عنه) فقال : بَيْنَمَا أَنَا جَالسٌ عنْدَ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ منَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ منْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا**

---

[1] رواه الحاكم فى المستدرك .   [2] الاستيعاب لابن عبد البر .

أَبَرُّهُمَا بِهِ ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ ، خِصَالٌ أَرْبَعَةٌ : الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ رَحِمَ لَكَ إِلاَّ مِنْ قِبَلِهِمَا ، فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا**)[1] ..



[1] رواه أحمد مسند المكيين .

السَّيِّدَةُ تَمِيمَةُ بِنْتُ وَهْبٍ (رضى الله عنها)

هِيَ مِنَ الصَّحَابِيَّات ، وكانت زوجة لـــ « رِفَاعة القُرَظِيّ » ، وقد طلَّقَهَا طلاقًا بائنًا : أى ثلاث تَطْلِيقَات ، وتزوَّجها من بعده « عَبْدُ الرَّحمنِ بن الزَّبير » ، واختلفت معه ، فذهبت إلى رسول الله (ﷺ) تشتكى الزوج الجديد قائلة : **كُنْتُ عِنْدَ « رِفَاعَةَ » فَطَلَّقَنِي ، فَبَتَّ طَلاَقِي** [1] ، **فَتَزَوَّجْتُ « عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ » ، وَإِنَّ مَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ** [2] !! .. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) فَقَالَ : (**أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ ؟! .. لاَ حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَك** [3])[4] .. وهو ما يعنى أن الْمُحَلِّلَ لابد أن يَكُونَ زَوْجًا بالفِعْلِ .. ولا يجوز لِمَنْ حُرِّمَتْ عليه زوجته بالطَّلاقِ البائن أن يَلْجَأَ إلى أحدٍ فيعْقدَ على مطلَّقَته ثم لا يَدْخُلَ بِهَا ، ويطلِّقَهَا ثم تعود إلى زوجها الأول .. **فإن ذلك يعتبر زنا** ، **فالمحلِّل لابد أن يكون زوجًا بالفِعْلِ يتزوَّج بِنِيَّة أن يحيا معها بقية العمر** .. ورسول الله (ﷺ) يقول : (**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ** ؟) .. قَالُوا : **بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ** .. قَالَ : (**هُوَ الْمُحَلِّلُ .. لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**)[5] ..

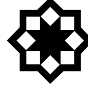
---

[1] طلاق البتة : الطلاق ثلاثًا .

[2] أى ما يُتَدلَّى من طرف الثوب من خيوط لِتَزْيينِهِ ، مشيرة بذلك إلى أنه لا أمل معه فى الْجِمَاع .

[3] كناية عن لذة الجماع . [4] رواه البخارى كتاب الشهادات . [5] رواه ابن ماجه كتاب النكاح .

ثم إنْ حَدَثَ خِلافٌ طَبيعيٌّ بإرَادَةِ الله ، وطُلِّقَتْ منه جاز أن تعود إلى الأوَّل بعد انقضاء عِدَّتِها ، لقول الله عز وجل : (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ)[1] ..



(1) سورة البقرة آية ٢٣٠ .

السَّيِّدَةُ جُمَيْلُ بِنْتُ يَسَار (رضى الله عنها)

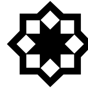
كانت فى رِعَايَة أخيها « مَعْقِل بن يَسَار » ، وزوَّجها من رجلٍ صالح هو « أبو الدَّحْدَاح » ، وهيَّأَ لها أسباب العيش الكريم ، وكانت تُحِبُّ زوجها حُبًّا جَمًّا ، واختلف معها يومًا فطلَّقها وعادت إلى بيت أخيها حَزِينَة ، وانقضت عِدَّتُها و لم يُرَاجِعْهَا زوجُها فى فترة العِدَّة .. ثم بَدَا للزوج أن يعود إلى زوجته بعد أن ندم على تسرُّعِهِ فى طلاقِهَا ، فذهب إلى أخيها يَخْطُبُها من جديد ، وفرحت المرأة بذلك ، ولكن فرحتها لم تَتِم إذ رفض أخوها أن يعيدها إلى زوجها قائلا له : **زَوَّجْتُكَ ، وَفَرَشْتُكَ ، وَأَكْرَمْتُكَ ، فَطَلَّقْتَهَا ثُمَّ جِئْتَ تَخطُبُهَا !! لاَ وَاللَّه لاَ تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا** [1] .. وأصرَّ على عدم تزويجها منه على رغم صلاحه ، وخُلُوِّه من العيوب الخلقية ، وحبِّه الشديد لمطلَّقته .. وحزنت الزوجة المطلَّقة حُزْنًا شديدًا ، ولكنها لم تكن تَمْلِكُ من أمرها شيئًا ، فأخوها هو وليُّها الشَّرْعِيُّ .. ونزل « جبريل » (عليه السلام) يخبر النَّبِيّ (ﷺ) الْخَبَرَ ، ويُبْلِغُهُ حُكْمَ الله فى هذه القضية : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ)[2] .. فاستدعى النَّبِيُّ (ﷺ) الأخ ، وقرأ عليه قول الله فقال : **الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ** .. فَزَوَّج أخته من طليقها الذى أحبَّها وأحبَّته ، والتَأَمَ شَمْلُ

---

[1] رواه البخارى كتاب النكاح .
[2] سورة البقرة آية ٢٣٢ .

الأسرة السعيدة من جديد ، وكانت قِصَّتُها (رضى الله عنها) سَبَبًا فى شمول رحمة الله تعالى لعِبَادِهِ ..

فالآية خطاب لأولياء النساء : كالأب ، والعم ، والأخ الذين تُطَلَّق مَنْ هى تحت رعايتهم طلاقا بائنًا [1] ، ثم تُريد أن تعود إلى زوجها إذا رَغِبَ فيها وهو لا يملك رجعتها إذ لابد من عَقْدٍ جديد وصَدَاق [2] جديد ، فتأخذُ الوَلِىَّ الْحَمِيَّةُ والأَنَفَةُ فيرفض الموافقة على ذلك .. والخطاب أيضًا للأزواج الذين يريدون مفارقة زوجاتِهم ، ويخشَوْن عودتَهن إلى أزواجهنّ السابقين ، فيطلّق أحدهم امرأتَهُ طلاقًا رجعيًّا ، وقبل انقضاء العِدَّة يردُّها إليه ، ويُمْسِكها فترة ، وهكذا لمجرَّد الإضرار بهَا ، وليس فى شرع الله عز وجل ضَرَر ولا ضِرَار ، وعلى الإنسان أن يتَّقِي الله عز وجل فيمَنْ هو تحت رعايته ، أو فى كفالته فإن الله سَائل كُلَّ رَاعٍ عَمَّا استَرْعَاه ..



---

(1) الطلاق البائن نوعان : بَيْنُونَة صُغْرَى : وهى التى تُطَلَّق من زوجها وتنتهى عِدَّتُها دون أن يراجعها فلا تحلُّ له إلا بعَقْد جديد ، كطلاق « جُمَيْل بِنت يَسَار » صاحبة القصة ، وكذلك من طُلِّقت قبل الدخول ، ومن تنازلت عن حقوقها .. وبينونة كبرى : وهى التى تُطَلَّق ثلاث طلقات .

(2) الصداق : المهر .

السَّيِّدَةُ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ (رضى الله عنها)

هى امْرَأَة « أَبِى سُفْيَان بن حَرْب » ، وكانت ذات رَأْيٍ وعَقْلٍ وأَنَفَةٍ ، وكانت من أشدِّ الناس عَدَاوَة للإسلام والْمُسْلمين ، وقد حرَّضت زوجها وقومها على الخروج إلى « بدر » لقتال المسلمين ، وهى القائلة يوم « أُحُد » لصَنَاديد قُرَيْش تشجعهم على القتال : (**نَحْنُ بَنَاتُ طَارِق .. نَمْشِي عَلَى النَّمَارِق .. إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِق .. أوْ تُدْبِرُوا نُفَارِق .. فِرَاقَ غَيْرِ وَامِق**)(١) ..

ولَمَّا قُتِلَ أخوها « الوَلِيد بنُ عُتْبَة » وأبوها « عُتْبَة بن رَبِيعَة » وعَمُّها « شيْبَة ابن رَبِيعَة » فى غزوة « بَدْر » ازداد الغلُّ فى قلبها ، واستدعت عبدًا حبشيًّا يرمي بِالْحَرْبَة ولا يُبَارَى ، لا تُخْطِئ ضربته يدعى « وَحْشِيًّا » ، وجنَّدتْه لقتل « حَمْزَةَ ابن عبد المطلب » الذى قتل أباها وعمَّها .. وكان يقاتل بسيفين فتربَّص به « وَحْشِيّ » حتى قتله ، واحتزّت « هندٌ » قطعة من كبد « حمزة » تلوكها فى فمها تحاول أكلها لتشفي غليلها ولكنها لم تستسغها فلفظتها .. وحين بلغ ذلك النَّبىّ (ﷺ) قال : (**لَوْ دَخَلَ بَطْنَهَا لَمْ تَمَسَّهَا النَّارُ**)(٢) .. وظلَّتْ على عَدَاوَتِها للمسلمين ونفورها من الإسلام ..

ودارت الأيَّام وجاء الفتح ، ودخل النَّبِىّ (ﷺ) « مَكَّة » فاتِحًا وكان « أبو

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى . (٢) رواه ابن عساكر .

سُفْيَان » قد أَسْلَم يوم الفتح ، ولعلم « العباس بن عبد المطلب » (رضي الله عنه) بأن « أَبا سُفْيَانَ » يُحبُّ الفَخْرَ ، طَلَبَ من رسول الله (ﷺ) أن يَجْعَلَ لَهُ شَيْئًا ، فقال (ﷺ) : (**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْه دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**)[1] .. وفى صباح اليوم التالى لإسلام « أَبى سُفْيَان » قالت له زوجته « هندُ بنت عُتْبَة » : **إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُبَايِعَ مُحَمَّدًا** .. فقال لها : **لَقَدْ رَأَيْتُك تُكَذِّبِينَ هَذَا الْحَدِيثَ بِالأَمْسِ !!** .. قالت : **مَا رَأَيْتُ اللهَ عُبِدَ حَقَّ عِبَادَته فِى هَذَا الْمَسْجِدِ قَبْلَ اللَّيْلَة ، واللهِ إِنْ بَاتُوا إِلاَّ مُصَلِّينَ** .. قال : **فَإِنَّك قَدْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ فَاذْهَبِي بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِك مَعَك** .. فَذهَبت إلى « عُثْمَان بن عَفَّانَ » فذهب معها واستأذن لها ، فدخلت على رسول الله (ﷺ) وهى مُنْتَقِبَةٌ فى جماعة من النساء يبايعْنَه ، وكان (ﷺ) لا يُصافِحُ النساء فى البَيْعة – كما كان يفعل مع الرجال – وإنما كان يقْرَأُ عليهن قول الله عز وجل : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2] .. فلما قرأ عليهن قالت « هند » : **وَهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ وتَسْرِقُ ؟!** [3] .. فأسْلَمَتْ وبايعت ثم قالت لرسول الله (ﷺ) : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ** [4] **أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا**

---

[1] رواه أبو داود كتاب الخراج .   [2] سورة الممتحنة آية ١٢ .   [3] أُسد الغابة لابن الأثير .

[4] الخباء : الخيمة ، وهنا بمعنى : الديار والمنازل .

مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ ، وَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ .. [1]

وقد حَسُنَ إِسْلامُهَا ، ثُمَّ ذَهَبَتْ يومًا إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) تَسْتَفْتيه قائلة : **يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا ؟** .. فَقَالَ : (**لاَ حَرَجَ عَلَيْكِ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ بِالْمَعْرُوفِ**)[2] ..

وقد شهدت (رضى الله عنها) غزوة « اليَرْمُوك » مع زوجها « أبى سفيان » ، وكانت تُحَرِّض المسلمين على قتال الرُّوم وتشجعهم ..

وماتت (رضى الله عنها) فى خلافة « عُمَرَ بن الْخَطَّاب » ، ودُفِنَت بالبقيع (رضى الله عنهم أجمعين) ..

ويتَّضِح من القصة أمران :

الأمر الأول : أن الإسلام يَجُبُّ ما قَبْله (أى يُكَفِّر جميع الذنوب التى ارتُكِبَتْ حال الكُفْر) .. وأن الإسلام إذا خالطت بشاشته القُلُوبَ دخل حُبُّ المسلمين فى القَلْب ، وتمكّن منه ..

الأمر الثانى : أن زوجة البَخِيل لها أن تأخذ من ماله بغير عِلْمه ما يكْفِيها وأولادها من حيث : الغِذَاء والكِساء الضروريَّيْن المتناسبين مع مستوى الأُسرة الاجتماعي ، ولا يَصِحُّ أن تأخذ زيادة من أجل الكماليَّات ، أو للإنفاق على أهلها ..

---

[1] رواه البخارى كتاب الأحكام .

[2] رواه البخارى كتاب المظالِم والغصب .

السَّيِّدَةُ الرُّمَيْصَاءُ (رضى الله عنها)

هى « أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَان » ، وكانت زوجة « مالِكِ بنِ النَّضْر » ، وأنجبت منه « أنس بن مَالك » ، وقد غَضِب عليها زوجها فخرج إلى الشام ومات هناك .. وجاء « مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْر » إلى المدينة يدعو إلى الإسلام فكانت من أوائل اللاَّتى سارَعْنَ إلى الدخول فيه ، وجاءها « أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَارِيّ » يَخْطُبُها ، وكان من أشهر الرُّمَاة فى المدينة ، فقالت له : **وَاللَّه مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ ، وَلاَ يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي ، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ** .. قال : **لاَ حَتَّى أَنْظُرَ فِى أَمْرِي** .. فذهب ثم جاء فقال : **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه** [1] .. فتزوَّجته ، وولدت له ولدًا مرض وهو صغير مرضًا شديدًا كان يبكي منه وينقطع نَفَسُهُ .. وخرج « أبو طلحة » إلى المسجد يومًا ، فمات الولد ، فَغَطَّتْهُ أُمُّهُ ، ثم تزيَّنَتْ وتعطَّرَت ، وتَهيَّأت لزوجها .. فلما عاد إلى البيت سأل عن حال الولد ، فقالت : (**هو أسْكَنُ مِمَّا كَانَ**) .. ولم تخبره بموته ولم تكذب ، بل لجأت إلى التعريض فقد سَكَن الولد فعلاً ، ثم أعدَّت الطعام لزوجها ، وأَمْكَنَتْهُ من نَفْسِهَا .. وفى الصباح أعدَّتْ له غُسْلاً فاغتسل لصلاة الفجر ، وقبل أن يخرج قالت له : **يَا أَبَا**

[1] رواه النسائي كتاب النكاح ، وأبو نعيم فى حلية الأولياء .

طَلْحَة ، أَرَأَيْت لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا أَهْل بَيْت عَارِيَة ، فَطَلَبُوا عَارِيَتهمْ ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قَالَ : لا .. قَالَتْ : فَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَإِنَّ اللَّهَ قَبَضَهُ .. فقال : **إِنَّا لله ، وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** .. وخرج إلى المسجد كَاظمًا غَيْظَهُ فَلَقِي رسولَ الله (ﷺ) فأخبره بموت ابنه ، فقال النبى (ﷺ) : (**فَبِتُّمَا عَرُوسَيْنِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِكُمَا ؟**) .. قَالَ : نَعَمْ .. فقَالَ : (**بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتكُمَا**) .. وتَحْمِلُ المرأة ، وتَلد غلامًا يشُبُّ ويصبح من العلماء الصالحين ، ويُنْجِبُ تسعةً من الأبناء ، كُلُّهُم قد حَمَلَ القرآن والعِلْمَ .. ينشرونه فى الآفاق ، وتتحقق نبوءة الرسول (ﷺ) : (**بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتكُمَا**)[1] .. ويقول (ﷺ) : (**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ**)[2] ..

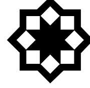
وفى غزوة « حُنَيْن » اختفى الناس من حول رسول الله (ﷺ) ، ولم يبق إلا قِلَّةٌ منهم ، وفى غَمْرَة انسحاب الناس من حوله إذا بناقة تجرى وعليها « الرُّمَيْصَاء » وكانت حاملاً ، ولكنها قد ربطت بطنها بقُوَّة على الحمْل حتى لا يتحرَّك الْجَنين ، ووضعت يدًا فى خِطَام الناقة لِتَتَحَكَّم فيها ، وخنْجَرًا فى اليد الأُخْرَى ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله (ﷺ) : (**أُمُّ سُلَيْمٍ ؟!**) .. قالت : **نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله ، اقْتُلْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَنْهَزِمُونَ عَنْكَ كَمَا تَقْتُلُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَك ، فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ** .. فَقَالَ رَسُولُ الله (ﷺ) : (**أَوْ يَكْفِي اللهُ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟**)[3] ..

ويشاء الله تبارك وتعالى أن ترجع « أُمُّ سُلَيْم » وقد نصر الله الرسول

---

[1] رواه أحمد والبخارى ومسلم . [2] رواه البخارى كتاب المناقب . [3] سيرة ابن هشام .

والمؤمنين ، ثم تَلِدُ وتأخذ مولودَها إلى النَّبيّ (ﷺ) ومعها بعض تمرات ليحنِّكه [1] ، ويكون أول ما ينْزِل جوفَه لُعَابُ رسول الله (ﷺ) ، ويُسَمِّيه النَّبيّ : « عَبْد الله » ، وهو الذى أنجب فيما بعد تسعة من الرجال كُلّهُم حَمَلَة قُرْآنٍ وعِلْم ..



(1) حَنَّكَهُ : مضغ تمرة ودَلَّك بعصيرها فمه من الداخل .

السَّيِّدَةُ سُبَيْعَةُ القُرَشِيَّة (رضى الله عنها)

فاجأت النَّبيَّ (ﷺ) ذات يوم قائلة : **يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي** (١) .. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ (ﷺ) : (**ارْجِعِي**) .. فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ أَيْضًا فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزِّنَا فَقَالَتْ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي** .. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ (ﷺ) : (**ارْجِعِي**) .. فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ أَيْضًا فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزِّنَا فَقَالَتْ : **يَا نَبِيَّ اللَّهِ طَهِّرْنِي ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى** .. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ (ﷺ) : (**ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي**) .. فَلَمَّا وَلَدَتْ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ تَحْمِلُهُ فَقَالَتْ : **يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَذَا قَدْ وَلَدْتُ** .. قَالَ : (**فَاذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ**) .. فَلَمَّا فَطَمَتْهُ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ قَالَتْ : **يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَذَا قَدْ فَطَمْتُهُ** .. فَأَمَرَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِالصَّبِيِّ فَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا حُفْرَةٌ فَجُعِلَتْ فِيهَا إِلَى صَدْرِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرْجُمُوهَا ، فَأَقْبَلَ « خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ » بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا ، فَنَضَحَ الدَّمُ عَلَى وَجْنَةِ خَالِدٍ ، فَسَبَّهَا ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ (ﷺ) سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ : (**مَهْلاً يَا خَالِدُ بْنَ الْوَلِيدِ ، لاَ تَسُبَّهَا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ** (٢) **لَغُفِرَ لَهُ**) .. فَأَمَرَ

(١) تريد بذلك أن يقيم عليها (ﷺ) الحد ، والحدود : هى العقوبات التى حددها الله عز وجل فى القرآن لجرائم بعينها : كقطع يد السارق ، وكجلد الزاني غير المتزوج .. والحد هنا : الرَّجْم حتى الموت .

(٢) المكس : أى الضريبة والجباية والإتاوة التى تؤخذ بغير بحق ، وهى من أقبح الذنوب وأعظمها .

بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ .. [1]

وهنا تبرز نقطة هامة : وهى أنه إذا أخطأ الإنسان وسَتَرَهُ الله تبارك وتعالى فيجب ألاَّ يكشفَ سِتْرَ الله عليه ، ولا يفتخر بالمعصية ، ولا يُحَدِّث بِهَا أحدًا ، وإلا كان ذلك أعظم من الذنب الأصلي .. كذلك فإن الحدود كفَّارة ، ولكن لا يصِحّ للعبد أن يطلب إقامة الحد عليه إذا ستره الله .. ويقول العلماء : **إِذَا رَأَيْتَ عَبْدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ يُقَامُ فِيهَا الْحَدُّ ، ولَكِنْ لَيْسَت مما يَتَعَلَّقُ بحقوقِ الْغَير فَالسَّتْرُ أَوْلَى مِنْ رَفْعِ أَمْرِهِ إِلَى الْحَاكِم** .. ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .. وإذا ما أصاب الإنسان ذَنْبًا فإمَّا أن الله تعالى يُعَاقِبه فى الدنيا بأن يبتليه ببعض البلاء : كالمرض وغيره لقول الله تعالى : (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ)[2] .. وإمَّا أن يُوَفِّقَه للتوبة ويعفو عنه ، والسيدة « سُبَيْعَة القُرَشِيَّة » معدودة من الصحابيات على الرغم من هذه الخطيئة ، والْحَدُّ الذى أُقِيم عليها كَفَّر عنها خطيئتها بفضل الله ، لقول النَّبِيّ (ﷺ) لأصحابه : (**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلاَ تَسْرِقُوا ، وَلاَ تَزْنُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ .. فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ : إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**)[3] ..

---

[1] رواه مسلم كتاب الحدود . [2] سورة الشورى آية ٣٠ . [3] رواه البخارى كتاب المناقب .

السَّيِّدَةُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ (رضى الله عنها)

هى امرأة « عَامِر بن رَبِيعَة » ، وكانت من أشراف قُرَيْش من بنى عَدِىّ ، وأسلمت فى بدء الإسلام وهاجرت إلى الْحَبَشَةِ ، ثم هاجرت إلى المدينة ، وصلَّت إلى القِبْلَتَيْنِ هى وزوجُها الذى كان من السابقين فى الإسلام والْهِجْرَة ، وقد شهد المشاهد كُلَّهَا مع رسول الله (ﷺ) ، وشَهِدَ « بَدْرًا » .. وكانت تحكى وتقول : كان « عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ » من أَشَدِّ الناس علينا فى إسْلامِنَا ، فلمَّا تَهَيَّأنا للخروج إلى أرض الْحَبَشَةِ جاءنى « عمر بن الخطاب » وأنا على بعيري نريد أن نتوجَّه فقال : **أيْنَ يَا أُمَّ عَبْدِ الله ؟!..** فقلت : **آذَيْتُمُونَا فِى دِينِنَا ، فَنَذْهَب فِى أَرْضِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ حَيْثُ لاَ نُؤْذَى فِى عِبَادَةِ اللهِ** .. فقال : **صَحِبَكُمُ اللهُ** .. ثم ذهب .. فجاءنى زوجى فأخبرته بما رأَيْتُ من رِقَّةِ « عُمَر بن الخطاب » ، فقال : **تَرْجِينَ أَنْ يُسْلِمَ ؟** فقلتُ : **نَعَمْ** ، فقال : **واللهِ لاَ يُسْلِمُ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّاب** (1) .. وهو ما يعكس يأس الناس من إسلام « عمر » ، ولكن الله تبارك وتعالى يَهْدِى مَنْ يَشَاء فنطق « عمر » بعد ذلك بالصواب ، ووافق حكْمُه حُكْمَ الكِتَاب .. وقد كان هناك ناس سارعوا إلى الإسلام وكانوا أسرع فى الخروج منه ..

وقد رَوَى زوجها (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : (**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ**

(1) رواه ابن إسحاق فى سيرته .

الْجَنَازَةَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَاشِيًا مَعَهَا فَلْيَقُمْ حَتَّى تُخَلِّفَهُ أَوْ تُوضَعَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَلِّفَهُ)[1] .. كما روى أيضًا قوله (ﷺ) : (**سَيَكُونُ أُمَرَاءُ بَعْدِي يُصَلُّونَ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا وَيُؤَخِّرُونَهَا فَصَلُّوهَا مَعَهُمْ ، فَإِنْ صَلَّوْهَا لِوَقْتِهَا وَصَلَّيْتُمُوهَا مَعَهُمْ فَلَكُمْ وَلَهُمْ ، وَإِنْ أَخَّرُوهَا عَنْ وَقْتِهَا وَصَلَّيْتُمُوهَا مَعَهُمْ فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ .. مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً .. وَمَنْ نَكَثَ الْعَهْدَ فَمَاتَ نَاكِثًا لِلْعَهْدِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ**)[2] ..

وفى يوم من الأيام ذهب رسول الله (ﷺ) إليها ، وجلس عندها ، وكان لها صَبِيّ صغير يُدْعَى « عبد الله » فذهب يلعب بعيدًا ، فنادته قائلة : **يَا عَبْدَ اللَّه ، تَعَالَ أُعْطِيكَ** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (**مَا أَرَدْت أَنْ تُعْطِيَهُ ؟**) .. قَالَتْ : **أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْرًا** .. قَالَ : (**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي لَكُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةً**)[3] ..

سبحان الله !! كلمة لطفلها الصغير تستدرِجُه بِهَا إليها ، كي لا يغيب عن نظرها خوفًا عليه ، وإشفاقًا ، تُكْتَب عليها كذبة !! .. إذًا فليس هناك كذبة بيضاء وكذبة سوداء ، فالكذب كذب ، والصدق صدق ، والمؤمن لا يكذب .. ولم يُرَخِّص رسول الله (ﷺ) فى الكذب إلا فى ثلاثة أحوال : الرجل يصلح بين الناس فيقول خيرًا لهذا ولهذا .. والرجل يقول فى الحرب ، فالحرب خدعة .. والرجل يتودَّد إلى امرأته ، والمرأة تتودَّد إلى زوجها .. **جعلنا الله من الصادقين** ..

---

(1) رواه مسلم كتاب الجنائز .
(2) رواه أحمد مسند المكيين .
(3) رواه البيهقى كتاب الشهادات .

السَّيِّدَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ (رضى الله عنها)

كانت متزوجة من رَجُل يُدْعَى « أَوْس بن الصَّامِت » وهو أخو « عُبَادَة بن الصَّامِت » ، وكان أكبر منها سنًّا ، سريعَ الثورة ، شديدَ الانفعال ، زَرِب اللسَان ، وقد بلغ به الغضب ذات يوم أن أغلظ لها في القول وقال لها : **أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي** .. ثم غاب ساعة وعاد يُرِيدُها لِنَفْسِه فقالت : **كَلاَّ وَالَّذي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِه ، لاَ تَخْلُصُ إِلَيَّ وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِه** [1] .. وكان (**الظِّهَار**) معروفًا فى الجاهلية وتَحْرُمُ بموجبه المرأة نـــهائيًا من دون أن يكون بعده مجال للصُّلح ، وذهبت المرأة إلى رسول الله (ﷺ) تشكو فقال لها : (**مَا أَرَاكِ إِلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْه**) .. قالت : **إِنَّ لِي صِبْيَةً صِغَارًا ، إِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيْه ضَاعُوا وإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا ، أَمَا مِنْ مَخْرَجٍ ؟ أَمَا مِنْ حَلٍّ ؟** .. قال : (**مَا أَرَاكِ إِلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْه**) [2] .. والسيدة « عائشة » (رضي الله عنها) جالسة فى حجرتِهَا ترى المحاورة ولا تسمع منها شيئًا ، وما قامت المرأة الحزينة حتى نزل « جبريل » الأمين بالقول الفَصْل الذى يُحَرِّمُ هذه الكلمة ، ويُوجِبُ على قائلها كفارةً عليه أن يُؤَدِّيها حتى تَحِلَّ له زوجتُه مَرَّة أخرى إذ يقول الله تبارك وتعالى : (قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ

---

[1] رواه أحمد مسند القبائل .
[2] ورد فى تفسير الكشاف ، ورواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤)[1] ..

وكَلَّفها الرسول (ﷺ) أن تأمر زوجها أن يعْتقَ رَقَبَةً ، قالت : **وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه مَا عنْدَهُ مَا يُعْتِقُ !!** .. قَالَ : (**فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**) .. قَالَتْ : **وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِه مِنْ صِيَامٍ** [2] .. قَالَ : (**فَلْيُطْعِمْ ستِّينَ مسْكينًا وَسْقًا** [3] **مِنْ تَمْرٍ**) .. قَالَتْ : **وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه مَا ذَاكَ عِنْدَهُ** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (**فَإِنَّا سَنُعينُهُ بِعَرَقٍ** [4] **مِنْ تَمْرٍ**) .. فقَالَتْ : **وَأَنَا يَا رَسُولَ اللَّه سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ** .. قَالَ : (**قَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّك خَيْرًا**) .. فَفَعَلَتْ .. [5]

وذات يوم خرج « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) يتفقَّد أحوال الرعية ومعه بعض أصحابه فاستوقفته امرأة عجوز ، وأخذت تحدِّثُهُ ويحدِّثها ولا يسمع حديثهما أحد ثم انصرفت ، فقال رجل : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَبَسْتَ النَّاسَ عَلَى هَذه**

---

[1] سورة المجادلة الآيات من ١ : ٤ . [2] أي لا يقوى على الصيام . [3] الوَسَق : ستُّون صاعًا .
[4] العرق : إناء كبير من خوص . [5] رواه أحمد مسند القبائل .

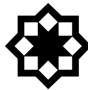
الْعَجُوز !!.. قال : **وَيْلَكَ أَتَدْرِي مَنْ هَذه ؟!! والله لو أَنَّهَا وَقَفَتْ إِلَى اللَّيْل مَا فَارَقْتُهَا إلاَّ للصَّلاةِ ثم أرجع ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ سَمِعَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَات .. إِنَّهَا خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَة الَّتِي أَنْزَلَ الله فيها قوله تعالى :** (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ) [1] .. [2]

وهكذا عرف « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) قدر هذه المرأة فوقف معها يسمع لها ، ويقضى لها حاجاتَها ، ويُجيب سؤالها ، وهو أمير للمؤمنين تمتدُّ دولته لتشمل عدة أقطار من العالَم شرقًا وغربًا ، شمالاً وجنوبًا ، وجيوشه تضرب آفاق المشرق والمغرب فاتحة للأمصار ناشرة لدين الله مُنْقِذَة للبَشَر من ظُلْمة الشرك والضلال ..

أى عظمة هذه ؟!.. وأى جلال ؟!!

إنه خُلُق السَّلَفِ الصالح الذين اقتدوا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستنّوا بسُنَّتِه فى : **إنْزَال الناس منازلهم .. ومخاطبتهم على قَدْرِ عقولهم .. وتَوْقِير الكبير منهم .. ورحمة الصغير ..**

إنه تقدير للمسئولية التى يوضِّحها قوله (صلى الله عليه وسلم) : (**كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ..**) [3] ..



---

[1] الآيات السابقة .
[2] أُسد الغابة لابن الأثير .
[3] رواه البخارى كتاب الجمعة .

السَّيِّدَةُ تُمَاضِرُ (رضى الله عنها)

هى « تُمَاضِرُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيد » (الْخَنْسَاء) التى أجمع أهل العِلْم بالشِّعْر أنه لم تكن امْرَأَةٌ قَبْلَها ولا بَعْدها أَشْعَرَ منها ، وقد قَدِمَت على رسول الله (ﷺ) مع قَوْمها فأَسْلَمَت معهم وكان يُعْجبُه شِعْرُها ، ويستنشِدُها قائلاً : (**هِيه يَا خُنَاسُ**)[1] ..

واشْتَهرَت فى الجاهلية برِثَائها لأَخَوَيْها اللَّذَيْنِ ماتا مُشْرِكَيْن .. ومرَّت الأَيَّام وجاءت معركة « القَادِسيِّة » فأصرَّت أن تشهدها .. وشهدها معها أربعَةُ بنين لها ، فقالت لهم أوَّل الليل : **يا بَنِيَّ ، إِنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ وهَاجَرْتُم مُخْتَارِينَ ، ووالله الَّذى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ ، إِنَّكُم لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِد كَمَا أَنَّكُمْ بَنُو امْرَأَة وَاحِدَة ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ ، ولا فَضَحْتُ خَالَكُمْ ، ولا هَجَّنْتُ حَسَبَكُمْ ، ولا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ ، وقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِى حَرْبِ الْكَافِرِين ، واعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ البَاقِيةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الفَانِيَة** .. يقول الله عز وجل : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[2] .. **فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ سَالِمِينَ ، فَاغْدُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ ، وبالله عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرْبَ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا ،**

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .

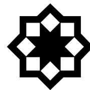
[2] سورة آل عمران آية ٢٠٠ .

واضْطَرَمَتْ لَظًى عَلَى سِياقِهَا ، وجَلَّلَتْ نَارًا عَلَى أَرواقِهَا ، فَتيَمَّمُوا وَطِيسَهَا ، وجَالِدُوا رَئِيسَهَا عِنْدَ احْتِدَامِ خَمِيسِهَا تَظْفَرُوا بالغُنْمِ والكَرَامَةِ فِي دَارِ الْخُلْدِ والْمُقَامَة .. فخرج الأبناء قابلين لنصحها ، سامعين أمرها ، وتقدموا الجموع ، وقاتلوا بشجاعة ، وأبلوا بلاءً حَسَنًا حتى استُشْهِدُوا !! ولما بلغها الخبر قالت : **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى شَرَّفَنِى بِقَتْلِهِمْ ، وأَرْجُو مِنْ رَبِّى أَنْ يَجْمَعَنِى بِهِمْ فِى مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِه** ..[1]

سبحان الله !! .. أى امرأة هذه ! .. ما أعظم حِكْمَتها ! .. وما أجزل عبارتــها ! .. وما أصدق لهجتها ! .. وما أعمق كلمتها ؟! .. أى صبر هذا ؟! .. وأى رضا بقضاء الله هذا ؟! .. وأى إيمان هذا ؟! .. أُمٌّ تَدْفَعُ بفلذات كبدها الأربعة إلى ساحة القتال غير هيابة ولا وجلة ، وتشجعهم على الاستشهاد فى سبيل الله ، وحين يأتيها خبر استشهادهم تحمد الله على ذلك ، ومنذ عهد قريب كانت دموعها تنهَمِرُ مِدْرارًا وهى تَرْثِى أخاها قائلة :

أعينــيَّ جُــودا ولا تجمــدَا ألاَ تَبْكِيــانِ لصَخْرِ النَّــدَا
ألا تبكيــانِ الْجَرِيءَ الْجَمِيلَ ألا تبكيــانِ الفَتَى السَّيِّــدَا
طَوِيلَ العِمَادِ عَظِيمَ الرَّمَــادِ سَــادَ عَشِيــرَتَــهُ أمْــرَدَا

إنه الإسلام الحق ، الذى أضاء قَلْبَها بنور اليَقِين ، فأصبحت (رضي الله عنها) نِبْرَاسًا لِلسَّالِكِين ..



---

[1] الاستيعاب لابن عبد البر ، والإصابة لابن حجر .

السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيد (رضى الله عنها)

هى « أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَن الأَشْهَلِيَّة » من خير نساء الأنصار من بني عبد الأَشْهَل ، وهى ابنة عمة « مُعَاذ بن جَبَل » إمام العلماء يوم القيامة ، وهى التى ألبست السيدة « عائشة » وزيَّنَتْها لزفافها .. ويُرْوَى عنها أنَّها سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (**لاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ سِرًّا ، فَإِنَّ الْغَيْلَ يُدْرِكُ الْفَارِسَ فَيُدَعْثِرُهُ عَنْ فَرَسِهِ**)[1] .. **والغَيْلُ هو** : اللبن الذى تُرْضِعُه المرأةُ وَلِيدًا ، وهى حامل .. هذا اللبن فى هذه الحالة يُضْعِفُ الجنين حتى إنه يُوقِعه من على الفرس عندما يَشِبُّ .. والملاحظ أن المرأة عند العرب كانت إذا أنجبت دفعت ابنها إلى الْمَرَاضع حتى تكون هى جاهزة لزوجها .. والعلماء يرون أن الرسول (ﷺ) قد نَهَى عن الغيل ، ولكنه : **نَهْيُ إِرْشَاد ، وليس نَهْي تَحْرِيم** ..

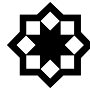
وقد اشتهرت بأنَّها سَفِيرَةُ النساء إلى رسول الله (ﷺ) إذ دخلت عليه يومًا وهو فى مَلإٍ من أصحابه وقالت : **بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي ، إِنِّي وَافِدَةُ النِّسَاءِ إليكَ ، وأعْلَمُ – نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ – أَنَّهُ مَا مِنْ امْرَأَةٍ كَائِنَةٍ فِي شَرْقٍ ولاَ غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلاَّ وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي .. إِنَّ اللهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَـٰـهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ ،**

---

(1) رواه أبو داود كتاب الطب .

وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ : مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ ، وحَامِلاَتُ أَولادِكُمْ .. وإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ : فُضِّلْتُمْ علينَا بالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ ، والْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ ، وأَفْضَلُ منْ ذَلِكَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله .. وإِنَّ الرَّجُلَ منْكُمْ إِذَا خَرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ مُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أمْوَالَكُمْ ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابَكُمْ ، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلاَدَكُمْ .. فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِى الأَجْرِ يَا رَسُولَ الله ؟! .. فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : (هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فى أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ ؟!) .. فقالوا : يَا رَسُولَ الله ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا !! فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : (انْصَرِفِى أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ ، وَأَعْلِمِى مَنْ خَلْفَك مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ [1] إحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا ، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتَهُ ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ) .. فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا ..[2]

هذا .. وقد كانت من أشجع النساء فقد شهدت غزوة « اليَرْمُوك » وقتلت بعمود خيمتها سبعة من جنود الروم .. وقد روى الإمام « أحمد » فى مُسْنَده عنها أَنَّهَا قالت : (**مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْنِي لَهُ بَيْتًا أَوْسَعَ مِنْهُ فِي الْجَنَّةِ**) ..



---

[1] تبعل : تَزيُّن وتعطُّر .

[2] رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .

وبعـــد ،،

أيتها الابنة المسلمة :

هل تَحَرَّكَت مشاعرُك مع تلك النخبة من الصحابِيَّات اللاتى ما تخرَّجْن من المدارس ، أو الجامعات !! .. بل تزوَّجْن صغيرات ، وسَعدْن كَبِيرَات ، وعِشْنَ مسلمات عابدات قانتات .. ومِتْن مؤمنات صالحات .. فَفُزْن بسعادة الدنيا ، ونعيم الآخرة ؟!! ..

وهل تاقت نَفْسُكِ إلى التَّأَسِّي بِهِنَّ ، والسير على دَرْبِهِنَّ لتفُوزي بما فُزْن به من رضوان الله تبارك وتعالى ، ونَعِيمه الدائم الذى لا يزول ؟! ..

أم إنك لازلت مَخْدُوعة بِمَا يُزَيِّنُه لك الفَسَقَة ، وأهل الفجور من حُرِّيَّةٍ وإثباتٍ للذات بالخروج على تقاليد الإسلام وتعاليمه ؟!! ..

أما سَمِعْت تحذير رسول الله (ﷺ) إذ قال :

(صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمْ بَعْدُ : نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ [١] مَائِلاتٌ [٢] مُمِيلاتٌ [٣] ، عَلَى رُءوسِهِنَّ أَمْثَالُ أَسْنِمَةِ الإِبِلِ ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا .. وَرِجَالٌ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَذْنَابِ [٤] الْبَقَرِ ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ)[٥] ..

---

[١] كاسيات عاريات : ثيابَهن شفافة تصف ، أو محسورة لا تستر .

[٢] مائلات عن الحق .. أو : مائلات يمشين بتبختر وميوعة .

[٣] مميلات لأكتافهن أثناء المشى ، ومميلات للناظر إليهن .

[٤] أذناب : ذيول .

[٥] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

أما عَلِمْت بقوله (ﷺ) يومًا للصحابيَّات :

(**تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ ، فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ**) .. فَقَامَتِ امْرَأَةٌ لَيْسَتْ مِنْ عِلْيَةِ النِّسَاءِ فَقَالَتْ : **لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟!** .. قَالَ : (**لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ** [1])[2] ..

أما عَلِمْت : أنه قال يومًا لـــ « أسماء بنت أبي بكر الصديق » وقد بلغت المحيض ورأى عليها ثوبًا يَشِفُّ :

(**يَا أَسْمَاءُ ، إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلاَّ هَذَا وَهَذَا**) ، وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ .. [3]

هل آثرْتِ نظرة الإعجاب من الرجال على نظرة الرِّضا من الخالق جل وعلا ؟!! ..

أما سَمِعْتِ قول الله عز وجل :

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ)[4] ..

أما عَلِمْت : أن الْحَيَاءَ شَطْرُ الإيمان ، ومَنْ لا حياء له لا إيمان له .. وأن الحياء خَيْرٌ كُلُّه ، وأن الحياء إذا كان فى أمر زَانَه ، وأنه إذا نُزِعَ مِنْه شَانَه ؟!! ..

كيف تسمَحِين لنفسك أن تكشفي عن عوراتك فيراها كل ناظر من بَرٍّ وفَاجرٍ ؟!! ..

---

[1] تكفرن العشير : تنكرن فضل الزوج وإحسانه .

[2] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

[3] رواه أبو داود كتاب اللباس .

[4] سورة الأعراف آية ٢٧ .

إن أرخص أنواع الحلوى هى التى تُعْرَض مكشوفة يَحُطُّ عليها الذباب .. وأغلى أنواع الحلوى هى الْمُغَلَّفة والمحفوظة بعيدًا عن الغبار والحشرات ، ولا يراها أو يمسُّها إلا مَنْ يَمْلِك ثمنها ، ويعرف قيمتها !! ..

هل هانت عليكِ نَفْسُك فَعَرضتِ جَسَدَك على كل مَنْ هَبَّ ودَبَّ كما كانت تُعْرَض الجوارى فى سوق النخاسة ؟!! ..

أين حياؤك ؟!! .. أين اعتزازك بنَفْسِك ؟!! .. أين كبرياؤك ؟!! .. أين عقلك وتمييزك ؟!! .. أخدعتكِ كلمات الإعجاب ؟! أم غرَّتكِ نظرات الاشتهاء ؟!! ..

أما عَلِمْتِ : أن كل شيء إلى زوال ، وأن الجمال هِبَة من الله تبارك وتعالى إلى حين ، وأن ما عند الله خير وأبقى ؟!! ..

أما تريدينَ أن تكونى من اللاتى زكَّاهن رسول الله (ﷺ) لشباب الأمة بقوله : **(تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا .. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)** ؟!! [1] ..

ابنتى العزيزة :

عُودى إلى الله ، وآثِرِى حُبَّ الله ورضاه ، على إعجاب ذوى القلوب المريضة ، والنُفُوس الخبيثة .. واسمعى لتوصية الله عز وجل وهو يقول : (وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا)[2] ..

---

(1) رواه مسلم كتاب الرضاع .

(2) سورة النساء آية ٢٧ .

واعْلَمي : أن خَيْرَ ما تَحْظَى به المرأة الزوج الصالح الأمين عليها الذى : إن أحبَّهَا أَكْرَمَهَا ، وإنْ كَرِهَهَا لم يَظْلِمْهَا .. ولن تَجدى هذا الزوج إلا إذا كان مظهرُك يدعوه للإطمئنان على بيته ، وعِرْضِه ، وأولاده .. الزوج الذى يبحث عن أُمٍّ لأولاده تُحْسِن تربِيَتَهم ، وتحفظه فى : نَفْسِه ، وماله ، ووَلَده .. لا ذلك الباحث عن المتحررة ، والمتبهرجة ، ومَنْ يفتخر بِهَا أمام أقرانه !! .. فسريعًا ما يَمَلُّ لُعْبَتَه ، فيرميها كما يفعل الصغار ، ويبحث عن غيرها لِتُسَلِّيَه !! ..

وإيَّـــاكِ : أن تؤجِّلي زواجَك بحجة إنْهاء دراستك ، وحصولك على سلاح كما يَدَّعِي الجهلاء ، فإن الحافظ هو الله ..

واعْلَمي : أن المكان الطبيعي للمرأة هو بيت زوجها .. وأن رسالتها الأساسية هى تربية أولادها ، وتنشئتهم على مبادئ الإسلام ..

واسَمَعي : نصيحة الرسول الأمين (ﷺ) :

(إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ [١]) [٢] ..

هَدَاكِ الله لِمَا فيه خَيْرُك .. وسَعَادَتُكِ فى الدَّارَيْن ..

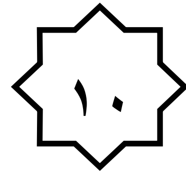
ياسين رشدى

---

[١] عريض : كبير .

[٢] رواه الترمذى كتاب النكاح .

الكتاب القادم



التَّصَــوُّفُ
مَا لَــهُ ومَا عَلَيْــهِ

- حَقِيقَــة التَّصَــوُّفِ وعلومــه ..
- مَنْشَــأُ التَّصَــــوُّف ..
- أَقْــوَال الصُّــوفِيَّــة الأوائــل ..
- حجــج الصُّــوفِيَّــة ودليــلهــم ..
- مقامــات الصُّــوفِيَّة وحقيقــتها ..
- هل يتفق التصوف مع السنــة ؟!

الفهـــرس

رقم الإيداع ٥٣٧٥ / ٩٢

الترقيم الدولى ١ - ٠١٥٢ - ١٤ - ٩٧٧ .I.S.B.N

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية